روايات عالمية للجيب 68

نداء كثولو



تأليـــف : هـ . ب . لافكرافت
ترجمة وإعداد : د . أحمد خالد توفيق



المؤلف



هذا هو لقاؤنا الثانى - ربما الثالث - مع هوارد فيليب لافكرافت Lovecraft ، الذى صرنا نعرفه جيدًا .. هناك معلومات لا بأس بها عنه فى الكتيبين 36 و37 من هذه السلسلة ، لكننا نعيدها هنا للتذكرة .

ولد الرجل فى 10 أغسطس عام 1890 ، فى (بروفيدنس) بـ (رود آيلاند) .. فى هذا المكان تدور أحداث معظم رواياته المخيفة . عاش تجربة قاسية مع مرض غامض أصاب أباه جعله فى غيبوبة لفترة طويلة جدًا .. على الأرجح كان المرض هو زهرى الجهاز العصبى .

بدا نبوغ لغوى مبكر جدًا على الصبى الذى تعلم القراءة فى سن الثالثة وكتب فى سن الخامسة . بالطبع تركت قصص ألف ليلة وليلة أثرًا لا يمحى لديه ككل كاتب غربى آخر فى الواقع . فى هذه الفترة أطلق على نفسه (عبد الله الحظرد) وهو الاسم الذى استعمله فيما بعد ليكون صاحب كتاب (العزيف) المخيف

فـائق الشـهرة . بعد هذا اكتشف الأساطير الإغريقيـة وبصفـة خاصة الإلياذة والأوديسة . كان ميالاً للوحدة والانطواء ، وعـانى أمراضًا نفسية كثيرة ..

عام 1914 صار رئيس رابطة الأدباء الشبان وكتب أولى قصصه (الوحش فى الكهف) . كان أصدقاؤه يحبونه ويقولون إنـه كـان رقيقًا لطيفًا برغم السمعة التى تلاحقه عن كونـه يمقت البشر . هناك شاب فى قصة (كتولو) يصفه لافكرافت قائلا :

ـ « شاب أسمر نحيل بـادى العصبية والقلق ... كـان الفتى شديد الذكاء لكنه غريب الأطوار بسبب اهتمامه بدراسة الظواهر الغريبة وكان يعتبر نفسـه (شديد الحساسية نحو الخـوارق) . ولما كان منطويًا صار خفيًـا بالنسبة لمجتمعنـا ، فلم يعد يعرفـه سوى عدد قليل من الناس » .

الحقيقة أن بعض النقاد يعتبرون هذا الفتى لافكرافت كما يـرى نفسه .

كتب الكثير جدًا من القصص والكثير من الشعر ، كما أنه تـرك تراثًا هائلاً من الخطابات والمقالات . توفى الرجل فقيرًا عام 1937 شاعرًا بأن حياته كانت فاشلة ، غير عالم أنه سيصير توءمًا فى الشهرة لمواطنه العظيم (إدجار آلان بو) ، وهو ما يثير أسئلة عديدة عن تركنا لهؤلاء العباقرة يتعذبون فى حياتهم ، ثم تخليدهـم وكتابة المجلدات عنهم بعد موتهم .

ترك لافكرافت تراثًا خياليًا هائلاً يضم أسماء مثل (العزيف) و(نيكرونوميكون) و(كتولو) و(آرخام) .. وهى أسماء صارت شهيرة جدًا لدرجة أنه كان يستعملها بين قصة وأخرى ، واستعملها كتاب آخرون فى قصصهم . وهناك كتاب مثل (برايان لوملى) تأثروا جدًا بهذه العوالم وكتبوا مثلها بالضبط .. عامة هو متأثر بفكرة الكيانات القديمة Old Ones التى كانت تحكم الكون قديمًا ثم نامت أو نُسيت ، والتى نقابلها كثيرًا فى كتابات (دى) و(كراولى) الساحرين الشهيرين . هناك تيمات ملحة فى كتاباته مثل الشخصيات الحساسة غريبة الأطوار التى تعيش منفردة وتتصل بسر مخيف غامض ، ينكشف لراوى القصة فيجن أو يهرب ويقضى حياته مذعورًا . هناك الأسماء التى تحمل طابع (نيو إنجلند) ـ مسقط رأسه ـ والتى يحب أن يستخدمها فى عناوين القصص مثل (وصية راندولف كارتر) و(حالة تشارلز دكستر وارد) و(ظل فوق إينزماوث) و(ريتشارد بيكمان) و(آرثر جيرمين) ... إلخ ..

اليوم نلتقى مع مجموعة من قصص لافكرافت القصيرة التى تحمل إحداها عنوان (نداء كتولو) .. هذه قصة شهيرة جدًا كتبها عام 1926 ونشرت فى مجلة (حكايات غريبة) عام 1928 .

يعرف عشـاق لافكرافت أن كتولـو كـائن يتكرر بإلحـاح فى أدب الرجل . ويرى بعض النقـاد الغربيين أن الكـائن مستوحى مـن شخصية (الكراكين) الوحش النائم فى حفرة فى أعمـاق المحيط فى قصـيدة لـ (تنيسـون Tennyson) . إنه الوحش الأخطبوطـى المكلف بالتهام الحسناء أندروميدا والتى سينقذها (برسيوس) فى آخر لحظة بالاستعانة بـرأس ميدوسـا . لو أفاق كتولـو فلن يعود هناك عالم نعيش فيه . اعتقادى الشخصى هو أن لافكرافت كـان يؤمن بوجـود كتولـو والكيانـات القديمـة فعـلاً .. اهتمامـه يتجاوز الولع الأدبى إلى ما يشبه الافتتان الدينى بالفكرة .

من جديد يترك لافكرافت بصماته فى كل مكـان : مثلاً نجد فى قصة (كتولو) مفتش شرطة اسمه (ليجراس) .. يستعير كـاتب الرعب (هندرسون) هذا المفتش فى مجموعة قصص خاصة بـه تحمل عنوان (حكايات المفتش ليجراس) ، كما يستعيره (مـارك إليس) فى قصته المصورة (الهامس فى الظلام) .

لم تضع تركة لافكرافت لأن تلاميذه وعلى رأسهم (أوجست ديرليث) قاموا بافتتاح دار نشر اسمها (آرخام Arkham) وقد تولت نشر أعماله المتنـاثرة فـى عشرات المجلات ، فـالرجل لم يصدر أى كتـاب فى حياته سوى (ظل فوق إينزماوث) . كـان

(ديرليث) تلميذًا مخلصًا لكنه بالغ بعض الشيء ؛ لأنه أصدر كتابًا كاملًا يدور حول محاوراته مع (لافكرافت) ، وفيما بعد اتضح أنها محاورات لم تحدث قط بل هي وليدة خياله !

اليوم يمثل (لافكرافت) تراثًا شديد الأهمية في الأدب الغربي والأمريكي بالذات لا يقل عما تركه الشاعر العظيم إدجار آلان بو .

د . أحمد خالد

نداء كتولو

1ـ رعب على الصلصال..

أعتقد أن أكثر الأشياء رحمة هى عجز العقل البشرى عن الإلمام بمكونات الكون . نحن نعيش فى جزيرة هادئة من الجهل وسط بحار سود من اللانهائية ، وقد كتب علينا ألا نبحر بعيدًا . والعلوم التى يبحر كل منها فى اتجاه لم تؤذنا كثيرًا ، لكن يومًا ما سوف تنجح تلك المعارف المتناثرة فى فتح ثغرات فى جدار الحقيقة ، ونفهم وضعنا المخيف . عندها إما أن نجن أو نفر من الضوء إلى الظلام والأمان حيث العصور المظلمة الجديدة .

لقد فهم علماء الدين والفلاسفة حجم الكون المروع الذى يبدو فيه وجودنا البشرى مجرد حوادث عارضة . لقد لمّحوا ، لكن ليس كلامهم هو مصدر ما أراه من تلك الحقب المظلمة التى تفزعنى عندما أفكر فيها ، وتثير جنونى عندما أحلم بها . هذه اللمحة جاءت من احتشاد أشياء متناثرة .. مثلاً فى هذه الحالة جاءت من جرائد قديمة ومذكرات أستاذ جامعى ميت . وأتمنى ألا ينجح شخص آخر فى جمع هذه الصورة ثانية ، لأننى ما دمت حيًا لن أضع حلقة أخرى فى تلك السلسلة المخيفة .

أحسب أن البروفسور أراد أن يخفى ما يعلمه ، وكان ليدمر المذكرات لولا أن الموت اختطفه .

بدأ كل شيء عام 1926-1927 مع وفاة عمى (جورج جامل أنجيل) الأستاذ الفخرى للغات السامية فى جامعة براون بروفيدنس .. كان عمى حجة فى النصوص القديمة وكانت متاحف كثيرة تستشيره لذا سوف يتذكر كثيرون وفاته فى سن التسعين . وفاته أيضًا كانت غريبة لأنه هلك وهو يغادر قاربه إذ دفعه زنجى له سمت البحارة . لم يعرف الأطباء سبب الوفاة وإن قدروا أنه خلل فى قلب العجوز الذى لم يتحمل تلك السقطة .. لم أر شيئًا غريبًا فى هذا .. لكننى فيما بعد بدأت أتساءل وما زلت ..

كنت وريث عمى ومنفذ وصيته لأنه مات أرمل بلا ابن . لهذا قمت بنقل كل أوراقه إلى مكتبى فى بوسطون لأن على أن أدرسها بعناية . معظم هذه الأوراق ستنشرها الجمعية الأثرية ، لكن هناك صندوقًا واحدًا أكره أن يراه أحد .

كان مغلقًا ولم أجد المفتاح حتى خطر لى فحص حلقة المفاتيح التى يحملها عمى فى جيبه ، وبالفعل فتحته لكنى وجدت عقبة أصعب ..

ما معنى نقش غريب على قطعة صلصال ومجموعة أوراق لا علاقة بينها ؟.. هل كان عمى فى أواخر أيامه ضحية نصب ؟.. كان النقش على شكل مستطيل سمكه أقل من بوصة ومساحته ست بوصات ومن الواضح أنه حديث العهد .. لكن تصميمه كان

لا يمت للحداثة بصلة بل هو يمت للانتظام الغامض المميز لكتابات الأقدمين . ومن الغريب أن عمى لم يشر قط لهذه القطعة فى أوراقه كأنها لم توجد .

فوق النقوش كان حفر لشكل معين يصعب تبيُّن طبيعته ، لكنه بدا لى كوحش ما أو رمز يمثل وحشًا . ربما أقول لك إننى تخيلت رؤية أخطبوط وتنين ورسم كاريكاتورى لإنسان ، لكنى بهذا لن أكون أمينًا فى الوصف . رأس ذو ممسات فوق جسد قشرى له جناحان ضامران ، وخلفية الصورة تعطى انطباعًا ببنية هندسية ضخمة .

كانت الكتابة المرافقة لهذا الرسم بخط البروفسور ، وكانت تحمل عنوان (طائفة كتولو) ، بحروف كتبت بعناية لا تسمح بالخطأ . كان النص مقسمًا لقسمين ، الأول يحمل عنوان (1925 الحلم وأعمال الحلم بوساطة هـ . أ . ويلكوكس) . والثانى يحمل عنوان (قصة المفتش جون ليجراس من نيو أورليانز) . وكانت باقى الأوراق تضم أجزاء من كتب عن أطلطنس وليموريا . كما كان هناك كلام عن كتاب (الغصن الذهبى) لفريزر وكتاب مورى (جماعات السحر فى شرق أوروبا) .

القسم الأول كان يحكى حكاية معينة : يبدو أنه فى مارس عام 1925 قد زار البروفسور شاب أسمر نحيل بادى العصبية والقلق ، ومعه قطعة الصلصال التى كانت طازجة لينة وقتها . كانت بطاقته

تحمل اسم (هنرى أنطونى ويلكوكس) ، وقد عرف عمى أسرته . وهو يدرس الفنون ويعيش وحده فى (فلير دى ليس) . كان الفتى شديد الذكاء لكنه غريب الأطوار بسبب اهتمامه بدراسة الظواهر الغريبة وكان يعتبر نفسه (شديد الحساسية نحو الخوارق) . لما كان منطويًا صار خفيًا بالنسبة لمجتمعنا ، فلم يعد يعرفه سوى عدد قليل من الناس فى البلدان المجاورة .

كان قد جاء لعمى يطلب عونه فى قراءة النقوش على الصلصال .. لكن عمى كان حادًا معه لأن طزاجة العينة التى أحضرها جعلت لها علاقة بكل شىء ما عدا علم الآثار . لكن الفتى أفهمه أن هذا الصلصال حديث فعلاً لأنه نقش عليه ما رآه فى الحلم .

هكذا بدأ يحكى القصة الغريبة التى نالت اهتمام عمى المحموم .

ليلة أمس كانت هناك هزة أرضية خفيفة ، وهى أقوى هزة شعرت بها (نيو إنجلند) منذ سنوات . عندما نام الفتى حلم بمدن عملاقة بها مبان ضخمة ونصب حجرية تناطح السماء ، كلها ينز منها سائل أخضر لزج ويغمرها رعب خفى . كانت النقوش الهيروغليفية تغطى كل شىء ، ومن مكان ما جاء صوت ليس بصوت ، بل هو شعور مضطرب يقدر الخيال فقط على أن يعتبره صوتًا . لكنه تبين فيه كلمة (كتولو فاتجن) .

كانت هذه الكلمات مما أثار عمى البروفسور (أنجل) . وراح يستجوب الفتى ويتفحص النقش الذى صنعه على الصلصال . فيما بعد ندم عمى كثيرًا لأنه لم يفهم المعنى الفورى لهذه النقوش ، وأضاع الكثير من الوقت يستجوب الفتى عما إذا كان ينتمى لجماعة دينية أو وثنية سرية مع الوعد بأن يظل الأمر سرًا . فلما أيقن أن الفتى لا يدارى سرًا أخذ منه وعدًا بأن يخبره بمحتوى أحلامه فى المرات القادمة .

فى المرات التالية تكررت أحلام مماثلة ، لكن الفتى كان يسمع فيها دومًا كلمتى (كتولو) و(رليه) ..

فى 23 مارس لم يظهر الفتى ، وبالسؤال عنه عرف أنه مصاب بحمى غامضة وقد نقل إلى بيت أسرته فى شارع (ووترمان) . هكذا ظل عمى يتصل لمعرفة أخباره كما راح يتردد على طبيبه المعالج . كان الفتى غارقًا فى الهلاوس وقد تكررت ذات الرؤى التى وصفها من قبل ، مع وصف شىء ارتفاعه عدة أميال يتحرك ..

كان رأى الطبيب أن الحمى ناجمة عن مرض عضوى ، ولا يمكن تفسيرها باختلال عقلى .

فى 2 إبريل زالت كل أسباب مرض (ويلكوكس) وجلس فى فراشه مندهشًا من كونه فى بيته ، فهو لا يذكر أى شىء حدث له منذ 22 مارس . وقد رأى الطبيب أنه استعاد صحته ، لذا عاد لدراسته .

لم يعد الفتى ذا نفع للبروفسور (أنجل) لأن كل ذكريات الحلم اختفت مع شفائه . هنا ينتهى الجزء الأول من المذكرات لكن هناك مذكرات أخرى جعلتنى أفكر بعمق .

كانت تلك المذكرات تصف أحلام أشخاص آخرين ، تقع فى ذات الفترة التى تدور فيها أحلام ويلكوكس . لقد أجرى عمى بحثًا مفصلاً بين مجموعة كبيرة من الناس يطلب منهم فيه أن يحكوا أحلامهم . لا أعرف مدى الاستجابة لمطلبه ، لكنه تلقى أوراقًا تفوق قدرة رجل بلا سكرتير على المتابعة .

كان الناس العاديون الذين يشكلون (ملح الأرض) فى نيو إنجلند لا يشكلون أهمية ما لأنهم لم يروا شيئًا ، برغم بعض حالات متناثرة مقلقة كلها فى الفترة بين 22 مارس و2 إبريل . العلماء كذلك لم يعطوا معلومات مهمة .. فقط الشعراء وأهل الفن هم من أعطوا إجابات مهمة . وكان الذعر ليصيبهم لو قارنوا أحلامهم ببعضها .. أحد الحالات كان مهندسًا مولعًا بالأمور الغامضة وقد أصابته حالة جنونية تتوافق مع الحمى التى أصابت ويلكوكس ، ثم مات بعد هذا بشهر وهو يصرخ طالبًا من ينقذه من شيء فر من الجحيم .

يبدو أن عمى استعان بوكالة صحفية ما تجمع له أخبار الصحف حول العالم .. مثلاً هناك مهندس فى لندن كان يحلم ثم نهض صارخًا وألقى بنفسه من نافذة . هناك أخبار من أمريكا الجنوبية . فى الهند هناك برقية تصف هياجًا بين الأهالى فى يومى 22 و23 مارس . هناك رسام فرنسى علق لوحة مخيفة اسمها (صورة حلم) فى صالون باريس .

عدد كبير من القصاصات ، جعلنى أتساءل كثيرًا عن معنى هذا .

2ـ حكاية المفتش ليجراس..

الأمور التى شكلت أحلام النحات وجعلت عمى مهتمًا بـالنقوش لهذا الحد ، كانت هى موضوع القسم الثانى من النص . يبدو لـى أن البرفسور نفسـه رأى المعـالم الجحيمية لتلك البشـاعة التـى لا اسم لها والنقوش الهيروغليفية الغامضة وسمع المقـاطع التـى تبدو مثل (كتولو) .

حدثت هذه التجربـة المبكرة عام 1908 قبل 17 عامًا عندمـا عقدت جمعية الآثار الأمريكية اجتماعها السنوى فى سـانت لويس . هذه اللقاءات فرصة يقصدهـا كل من لديـه أسئلة يبغى إجابـات عنها ، وكان من جاء لهذا الاجتمـاع رجـلاً عـادى المظهر فـى منتصف العمر جـاء من (نيو إنجلند) طلبًا لمعلومـات مـا كـان ليحصل عليها من مصدر آخر . كـان اسـمه (جـون ريمـون ليجراس) وكان مفتش شرطة . ومعه كـان يحمل تمثـالاً منفرًا قديمًا جدًا عجز عن تحديد مصدره . وعليك ألا تتخيل أن المفتش كان لديه أى اهتمام بالآثار . كـان الأمـر اهتمامًـا مهنيًـا صرفًـا .. لقد وجدوا التمثال جنوبى نيو أورليانز أثناء (كبسة) قـاموا بهـا على حفل لسحرة الفـودوو ، وكـانت الطقوس مخيفـة لدرجـة أن

البوليس عرف أنه وجد ديانة مجهولة لهم بالكامل ، أكثر شيطانية من أية ديانة فودوو أخرى .

لم يتمكن أحد من معرفة أصل هذه الطقوس لهذا قدر رجال الشرطة أن التمثال قد يقودهم لمعرفة مصدر هذه الممارسات الشنيعة .

لكن المفتش لم يتوقع رد فعل العلماء الذين رأوا التمثال فالتفوا حوله .. قدمه وغرابة أسلوب النحت جعلاه غريبًا غير مألوف . كان ارتفاعه نحو سبع بوصات يمثل وحشًا له منظر شبه بشرى ، لكن رأسه هو أخطبوط ، وجلده زلق مغطى بالحراشف وله جناحان صغيران . كان مكتنزًا يجلس على صخرة عليها كتابة لا يمكن فهمها . كان الرأس مائلاً للأمام بينما امتدت ممساته تلمس مخالبه الأمامية . أما أكثر ما يثير الذعر فهو أن كل شىء حقيقى جدًا وبرغم هذا لا يمكن معرفة مصدره . حروف الكتابة كانت غريبة جدًا فلم يستطع أى واحد من هؤلاء الخبراء العالميين تحديد شىء عن مصدرها .

الموضوع والمادة كانا ينتميان لشىء بعيد جدًا وغريب على البشرية كما نعرفها . شىء يذكرك بشكل مروع بدورات الحياة التى لم نكن فيها ..

فقط كان هناك رجل واحد تذكر شيئًا مماثلاً ، وهو المرحوم (ويليام تشاتنج ويب) أستاذ الأنثروبولوجى فى جامعة برنستون . كان الرجل قد قام برحلة استكشافية منذ 48 عامًا إلى جزيرة جرينلاند بحثًا عن آثار (رونية) . على الساحل الغربى قابل قبيلة من الإسكيمو لهم دين غريب يقوم على عبادة الشيطان ، أثاروا رعبه بدموية وبشاعة معتقداتهم . وكانوا يؤمنون أن هذه الديانة جاءت من عصور سحيقة قبل وجود عالمنا . كان هناك كلام عن شيطان قديم اسمه (تورناسوك) حصل البروفسور على تسجيل صوتى كامل عنه من ساحر عجوز أو (أنجيكوك) .

كانت هذه القبيلة تملك فتيشًا خاصًا بها وترقص حوله عندما يبزغ الشفق القطبى . هذا الفتيش كان يشبه فى كل شىء هذا التمثال الذى يراه الآن ..

أثارت هذه المعلومات شغف (ليجراس) الذى أمطر البروفسور بالأسئلة . طلب منه أن يتذكر طقوس عبادة هؤلاء الإسكيمو الشيطانيين ثم قارنها بما سجله من طقوس الفودوو التى شهدها فى لويزيانا . لقد ذهل الرجلان لمدى التطابق بين طقسى تعبد متباعدين فى المكان .. هناك جملة تتردد بشكل واضح فى الطقسين :

- *« فتوجلوى مجلوناف كتولو رليه وجاناتج فتاجن .. »*

وكان المفتش قد سأل هؤلاء الذين اعتقلهم عن معنى هذه الكلمات فقالوا له إنهم عرفوا من أجدادهم أن معناها :

- *« فى بيته فى (رليه) ينتظر كتولو الميت ويحلم .. »*

فى الأول من نوفمبر عام 1907 جاء بلاغ لشرطة نيو أورليانز من سكان الجنوب حيث المستنقعات . إن السكان هناك طيبون لكنهم بدائيون نوعًا يعانون خوفًا شديدًا من شىء ينقض عليهم ليلاً . كان سحر فودوو لكنه أكثر إرعابًا من أى سحر عرفوه . لقد بدأت نساؤهم وأطفالهم فى الاختفاء مع صوت دقات الطبول التى تدوى وراء الأحراش حيث لا يجسر أحد على الذهاب .

هكذا انطلق عشرون رجل شرطة فى سيارتين ومعهم أحد السكان المذعورين كدليل لهم . وراحت السيارتان تشقان طريقهما عبر أحراش لا يخترقها الضوء . فى النهاية وصلوا إلى المستعمرة فهرع السكان يستقبلونهم حاملين المصابيح والذعر فى عيونهم ؛ لأن صوت الطبول كان يدوى من بعيد . ومن حين لآخر تدوى صرخة تجمد الدم فى العروق .

رفض الأهالى جميعًا أن يتقدموا خطوة واحدة نحو مكان تلك الطقوس الدنسة . هكذا اضطر المفتش ليجراس ورجاله إلى أن يذهبوا وحدهم نحو مصدر تلك الضوضاء .

كانت المنطقة التى دخلها رجال الشرطة منطقـة محرمـة علـى البيض ، تسود فيها أساطير عن كائن أبيض عملاق كثير الزوائد لـه عينان لامعتان ، وقيل إن الشياطين التى تبـدو كالوطـاويط تخـرج من كهوف فى جوف الأرض كى تعبد هذا الكائن فى منتصف الليل . وقيل إنه هناك قبل الهنود .. قبل أن توجد وحوش الغابة .. كـان هو الكابوس ذاتـه ، وكـان معنـى أن تـراه أن تمـوت ، لكنـه كـان يرغم الناس على الحلم .

فقط لا يقدر على فهم الأصوات التـى سمعها ليجـراس سـوى الجنون أو الشعر .. هناك نغمات تدل علـى وجود بشـر ونغمـات تدل على وجود وحوش . وكانت أغنية مرعبة ترتفع :

ـ « *فنوجلوى مجلوناف كتولو رليه وجانانج فتاجن* .. »

هنا وجد الرجال أنفسهم فى البقعة التى جاء منهـا الصوت .. فر واحد ، وأحدهم فقد وعيه ، وصرخ اثنان من هول ما رأيا ..

وسط الأشجار كانت جزيرة معشبة وسطها حشد من القوم العراة يرقصون ويتلوون حـول نـار مشتعلة ، فى وسطها نصب عملاق ارتفاعه ثمانية أقدام على قمته ذلك التمثال ، وحـول هذا التمثال كانت سقالات علق عليهـا عشرة من السكان الأصليين الذين اختفوا ، وقد تشوهت أجسـادهم ورءوسـهم لأسفل . ربمـا

كان صدى الصوت هو ما أوحى للشرطة أن هناك من يرد على الغناء وسط الأحراش .

تصلب الرجال للحظات ثم جاء الواجب .. وبرغم أنه كان هناك نحو مائة شخص فى الاحتفال ، فإن رجال الشرطة أخرجوا أسلحتهم ، ولخمس دقائق كانت الفوضى عصية على الوصف .

فر كثيرون لكن (ليجراس) استطاع أن يعد 45 أسيرًا أرغمهم على ارتداء ثيابهم والمشى وسط صفين من رجال الشرطة . مات خمسة من المتعبدين ورقد اثنان بجراح عميقة . وانتزع (ليجراس) التمثال بعناية ، وأخذه معه .

كان أكثر الرجال زنوجًا أو مهجنين ، وبعضهم كانوا برتغاليين من جزر (كيب فيردى) .. قالوا إنهم يعبدون (الآحاد القدامى) الذين وجدوا قبل أن نوجد نحن وجاءوا من السماء . هؤلاء الآحاد قد غابوا تحت البحر ، لكنهم قادرون على إرسال الأحلام لأتباعهم . قالوا إن هذه العبادة موجودة منذ الأزل وسوف تظل كذلك .. إلى أن ينهض الكاهن الأعظم (كتولو) من سباته وسط أطلال مدينة (رليه) ليحكم الأرض ثانية .

هنا صمت الرجال .. كان هناك سر لا يستطيع التعذيب نفسه أن ينتزعه منهم ..

لا أحد رأى الآحاد القدامى .. التمثال المنحوت هو (كتولو) لكن من الصعب أن تعرف إن كان الباقون يشبهونه . الأغنية التى يغنونها تقول :

- « *فى بيته فى (رليه) ينتظر كتولو الميت ويحلم ..* »

لم يجدوا بين المساجين سوى اثنين عاقلين بما يسمح بشنقهما أما الباقون فقد أرسلوا لمصحات مختلفة . المعلومات الوحيدة ذات القيمة كانت من رجل نصف هندى نصف أوروبى اسمه (كاسترو) قال إنه سافر لموانٍ بعيدة وتكلم عن هذه الديانة مع الكهنة فى الصين . حكى عن حقب حكمت فيها تلك الكيانات الأرض وكانت لهم مدن عظمى . وبقايا تلك المدن موجودة فى بعض جزر المحيط الهادى . هم موتى لكن من الممكن أن يعودوا لو أن النجوم اتخذت موضعًا مناسبًا .

- « هؤلاء جاءوا من النجوم .. وجلبوا صورتهم معهم .. »

هم ليسوا من لحم ودم .. لهم أشكال لكنهم غير مكونين من مادة .. كلهم ينتظرون فى مدينتهم العظمى (رليه) بانتظار التعاويذ التى سيلقيها كاهنهم (كتولو) ..

هم ينتظرون فى الظلام ويحلمون ، فتمر عليهم ملايين السنين لكنهم يعرفون كل ما يدور فى الكون لأن طريقة تفاهمهم هى الأفكار . سوف ينتظرون حتى الوقت المناسب قبل أن ينهضوا .. هذا الوقت المناسب تسهل معرفته لأن البشر سيكونون وقتها مثل الآحاد القدامى ، أحرارًا لا يبالون بالخير أو الشر ولسوف يتخلصون من الأخلاق ويقتلون بعضهم البعض . وسوف يعلمهم الآحاد القدامى المزيد من وسائل المتعة حتى تصير الأرض محرقة من الجنون .

قال إن مركز هذه الديانة هو فى صحراء العرب حيث توجد (إرم) ذات العماد .. وإنه لم يرد ذكر لها فى أى كتاب ما عدا كتاب (نيكرونوميكون) الذى كتبه الشاعر المجنون (عبد الله الحظرد) .

لهذا لنا أن نتخيل دهشة عمى عندما قابل بعد هذا شابًا حساسًا يرى ذات الرؤى التى وصفها (ليجراس) ، واستطاع كذلك أن يلفظ بشكل صحيح ثلاث كلمات من التى نطق بها الإسكيمو .

برغم كل شىء لم أستبعد أن يكون (ويلكوكس) الشاب قد سمع عن تلك الطقوس فى مكان ما ، من ثم اختلق قصة هذه الأحلام ليحير عمى .

بدا لى هذا هو أقرب الاحتمالات للمنطق . وقرأت بعناية وصف (ليجراس) للقصة ، ثم صممت على أن أسافر إلى بروفيدنس لأوجه له التوبيخ الضرورى بسبب خداعه لرجل مسن ومتعلم مثل عمى .

كان ما زال يعيش فى (فلير دى ليس) فى شارع توماس . وهو مكان يقلد بشكل قبيح طراز المبانى الفكتورية فى القرن السابع عشر .

وجدته يعمل فى غرفته وأدركت من القطع التى نحتها والمحيطة به أن الفتى موهوب وأصيل . لقد نحت بالصلصال ويومًا ما سيفعلها بالرخام تلك الخيالات المفزعة التى خلدها (أرثر ماشن) بالشعر . كان هشًا شاحبًا وقد سألنى عن سبب قدومى فقلت له من أنا . وقد أثار اسمى اهتمامه ، وبعد قليل من الكلام لم يعد عندى شك فى صدقه . لقد أثرت تلك الأحلام على أعماله النحتية ، وقد عرض على تمثالاً ذا منحنيات جعلت الأفكار السود تعمل فى رأسى . لا يذكر متى رأى هذا الشكل ولكنه حاول نقشه على الصلصال أولاً وهو يشعر أن هذا هو الشىء الذى كان يراه فى أحلامه .

لم يكن يعرف شيئًا عن تلك الديانة الغامضة ، وكان يتكلم عن أحلامه بطريقة شعرية . يصف المدينة ذات النصب العملاقة من الحجر الأخضر ، التى قال إن تصميمها الهندسى خطأ تمامًا .

راح يردد النداء الذى كان يسمعه :

- « كتولو فتاجن .. »

وهو جزء من النداء الموجـه لكتولو فى سباته ، مما جعلنى أرجح أن الفتى سمع عن الأسطورة ونساها . لابد أنـه صادق وأن تأثيره على عمى لم يأت بقصد .

ظلت فكرة تلك العبـادة تحيرنى وتفتننـى ، وقد زرت لويزيانـا وقابلت ليجراس ومن بقى حيًا من تلك الغارة القديمة . لقد بـدأت أشعر بأننى على طريق كشف مهم .. كشف سـرى .. كشف عميق وقديم .. كشف سيجعلنى من علماء الأنثروبولوجى المرموقين .

شىء واحـد كنت أخافه هو أن يتضح أن موت عمى لم يكن طبيعيًا ، فقد سقط من فوق منحدر بعد ما دفعه بحار زنجى هجين . تذكرت كلام (ليجراس) عن الدم الهجين في لويزيانـا . هل تكون تحريات عمى عن الموضوع قد بلغت آذانـا شريرة ؟ أعتقد أن البروفسور مات لأنه عرف أكثر مما يجب أو لأنه كان فى طريقه ليعرف أكثر مما يجب .

لقد عرفت الكثير وبقى أن أحدد مـا إذا كنت سأقتفى خطوات عمى أم لا .

3ـ جنون من البحر..

لو أرادت السماء أن تمنحنى هديةً ، فلتكن هى نسيان الصدفة التى جعلت عينى تقعان على صفحة جريدةً . ما كان الأمر ليلفت نظرى فى العادةَ ، لكنـه كان عددًا من جريدةَ أسترالية اسمها (نشرة سيدنى) عدد 18 إبريل 1925 .

كنت أزور صديقًا مثقفًا فى (باترسون نيوجيرسى) ، وهو أمين متحف ومختص بعلم المعـادن . كنـت أتفحـص العينـات الموضوعةَ على الأرفف فى المتحف حين وجـدت صورةً غريبـة فى جريدةَ وضعت تحت الحجارةَ . وكانت الصورةَ تظهر نصبًا مخيفًا يشبه ذلك الذى وصفه (ليجراس) .

أخرجت الجريدةَ بحذر وقصصت الخبر ، وكان يقول :

العثور على سفينة مهجورة في البحر

وصلت السفينة (فيجلانت) وهى تجر يختًا نيوزلنديًا معطلاً . ناج واحد وجثة على ظهر اليخت . قصة عن صراع الموت فى البحر . البحار الناجى يرفض ذكر التفاصيل وإن وجد صنم غريب فى حوزته .

وصلت السفينة فيجيلانت إلى دارلنج هاربر وهى تجر اليخت المعطل المدجج بالسلاح (أليرت) . كانت السفينة فيجيلانت قد تعرضت بعد إقلاعها لرياح قوية أبعدتها عن مسارها ، وفى 12 إبريل شوهد اليخت المهجور ، وتبين أن على ظهره رجلاً فاقد الوعى وجثة رجل آخر يبدو أن أسبوعًا مر على وفاته . كان الرجل الحى يحمل صنمًا غريب الشكل اعترفت الجهات العلمية فى جامعة سيدنى بأنها لا تملك فكرة عنه .

لما أفاق الرجل حكى قصة غريبة عن القراصنة . اسمه جوستاف يوهانسن .. نرويجى . كان المساعد الثانى على ظهر السفينة ذات الشراعين (إمـا) التى أقلعت فـى 20 فبراير وعلى ظهرها 11 رجلاً . قال إنهم قابلوا اليخت (أليرت) يقوده طاقم غريب شرير الشكل من كنساس ، وقد أصدروا لهم الأمر بالتراجع فرفضوا . بدأ الطاقم يطلق الرصاص على بحارة (إما) فرد طاقم السفينة . لكن بحارة اليخت نجحوا فى أن يعطلوا السفينة التى أوشكت على الغرق بفعل ما أصابها من مدافع . دارت معركة عنيفة وفى النهايـة قتل ثلاثة من بحارة (إيما) ، لكن الباقين تمكنوا من النجاة بقيادة (يوهانسن) نفسه الذى اضطر لركوب اليخت بعد إصلاحه . تمكنوا فى 23 مارس من بلوغ جزيرة بشكل ما ، ثم مات ستة رجال على الشط .. فر يوهانسن ورجل آخر على ظهر اليخت فى 2 إبريل لكن الريح غلبتهم وتقاذفتهم ، ومنذ ذلك الحين حتى إفاقته لا يذكر الرجل ما حدث له على الإطلاق ..

كـان البحـارة يعرفـون اليخـت (ألـيرت) جيدًا بطاقمـه الشرير ، كمـا أن الأدميرالية أطرت يوهانسن وبراعته كثيرًا ، وأعلنت أنها ستحاول إجراء تحقيق شامل حول ما حدث .

انتهى الخبر لكن أية أفكار جلبها لى !.. إن التواريخ أبعد من أن تكون صدفة .. كل هذه الأحداث تدور فى ذات الوقت عبر العالم .. وماذا عن عاصفة 2 إبريل ؟.. نفس التاريخ الذى توقفت فيه أحلام الحالمين وأفاق (ويلكوكس) من قيود الحمّى ؟..

سافرت إلى سيدنى وأجريت تحقيقات لا نفع منها مع البحارة فى الأدميرالية ، ورأيت اليخت (ألـيرت) الذى تم إصلاحه ويستخدم فى الملاحة التجارية .

رأيت ذلك التمثال الغريب فى متحف التاريخ الطبيعى ، وقال لى أمين المتحف إن الجيولوجيين وجدوا فيه لغزًا بلا حل .. فهم متأكدون من أن العالم لا يحوى صخورًا من هذا النوع . تذكرت ما قاله (كاسترو) العجوز للمفتش (ليجراس) :

ـ « هؤلاء جاءوا من النجوم .. وجلبوا صورتهم معهم .. »

قررت أن أقصد أوسلو لأزور (يوهانسن) مساعد السفينة (إما) .. هكذا أبحرت إلى لندن ثم انطلقت مباشرة إلى النرويج ..

وفى يوم خريف اتجهت لبيت الرجل ، وكان فى المدينة القديمة للملك (هارولد هاردادا) الذى حفظ للمدينة اسم (أوسلو) برغم أنها كانت تحمل اسم (كريستينا) طيلة الحروب الصليبية .

طرقت الباب فبرزت لى امرأة ذات وجه حزين وثوب أسود . وتصلبت مصعوقًا عندما أخبرتنى أن (يوهانسن) لم يعد على وجه الأرض .

قالت المرأة إنه لم يعش طويلاً بعد عودته لأن أهوال البحر حطمته . كان يمشى على مرفأ جوتنبرج عندما سقطت فوقه حزمتان من الصحف من صندرة بيت .. ساعده بحاران على النهوض لكن قبل أن تبلغه عربة الإسعاف كان قد مات . لم ير الأطباء سببًا لوفاته وقدروا أن قلبه الضعيف هو السبب .

شعرت بذعر .. هذا الرعب لن يفارقنى إلى أن أموت أنا فى حادث أو بأى شكل آخر .

كان الرجل قد ترك لزوجته بعض الأوراق المكتوبة بالإنجليزية ، وقد سمحت لى بأن آخذها معى لأنها لا تهتم لما فيها . هكذا استطعت قراءة الأوراق وأنا على السفينة عائدًا إلى لندن .

كانت مذكرات بحار يصف تفاصيل رحلته . هى مليئة بتفاصيل لا داعى لها لذا سأحاول أن ألخصها لك فقد تفسر لماذا لم أعد أطيق صوت الماء وهو يضرب جانبى السفينة ، حتى إننى سددت أذنى بالقطن .

لم يعرف (يوهانسن) كل شىء ، لكننى لا أستطيع النوم بسهولة ثانية وأنا أعرف الأهوال التى نجهل عنها كل شىء . وتلك الكيانات المخيفة التى تحلم تحت البحر ، بينما عدد من الأتباع ينتظرون أية فرصة ليحرروها مع أول هزة أرضية تالية ، كى تتحرر من جديد وتخرج للشمس والهواء .

لقد غادر (يوهانسن) على السفينة (إما) فى 20 فبراير . وقد شعر بالقوة الكاملة لذلك الزلزال الذى حرك قاع المحيط ذاته . مضت السفينة بعد هذا حتى قابل اليخت (أليرت) فى 22 مارس وحدثت تلك المعركة . ابتعد اليخت وعليه (يوهانسن) ورجاله كما قالت الصحيفة ، إلى أن رأوا عمودًا صخريًا يبرز من البحر عند خط عرض '9°47 وخط طول '43°123 . هنا وجدوا أنفسهم أمام بقايا المدينة الكابوسية المسماة (رليه) . المدينة التى بنتها منذ زمن سحيق تلك الكائنات المرعبة التى جاءت من النجوم .

هناك كان (كتولو) وعشيرته يرقدون فى قباب طينية خضراء عملاقة يبعثون بلا توقف تلك الصور التى صارت أحلام الأشخاص الحساسين ، ويطلبون المخلصين لهم كى يأتوا .

لم ير (يوهانسن) هذا كله لكنه رأى ما يكفى !..

لابد أن الذهول أصابه ورفاقه وخمنوا أن هذا المشهد لا يمت بالتفصيل إنما يعبر للعالم الحالى . عندما يصف يوهانسن المدينة فى أوراقه فهو لايصفها عن انطباع عام لصخور عملاقة .. عملاقة بحيث لا تنتمى لشىء يمت لهذا العالم . عليها نقوش مفزعة وكتابة هيروغليفية . علق الرجل كذلك على الزوايا الغريبة للمبانى وهو يذكرنى بما قاله (ويلكوكس) عن هندسة هذا المكان وكيف أنها لا تمت للهندسة الإقليدية Euclidean التى نعرفها .

لقد هبط يوهانسن ورجاله على ضفة موحلة من تلك المدينة وتسلقوا فوق صخور لا يمكن أن تكون درجات سلم تمت لعالمنا الفانى . كانت الشمس تبدو مشوهة عندما تراها عبر البخار المتصاعد من هذا الهول المبتل . النظرة الثانية تجعلك ترى أشكالاً محدبة بعد ما كنت تراها مقعرة .

شعر الرجال برعب هائل برغم أنهم لم يروا سوى صخور وحجارة . وكان كل منهم موشكاً على الفرار لولا خشيته من سخرية رفاقه .. وكانوا يفتشون عن شىء قابل لحمله كذكرى يحملونها للوطن . كان البرتغالى (رودريجز) هو من تسلق قمة البناء وهتف يناديهم كى يروا ما رآه . هرعوا يرون فرأوا الباب العملاق وعليه نقش الكائن الأخطبوطى الذى ألفوه . عرفوا أنه باب من عتبته ومن عارضته العليا ولكنهم لم يعرفوا هل هو

بالعرض أم مائل .. هندسة المكان كلها كانت خطأ .. لا يمكن أن تعرف إن كانت الأرض أفقية أم لا ..

تحسس الرجال الباب بحثًا عن طريقـة لفتحـه ، ثم تسلقوه .. فجأة وببطء شـديد بدأت العتبة تنفتـح . كـان هـذا الشـىء يدور باتجاه منحرف متحديًا كل قوانين المادة والجاذبية .

كانت الفتحة سوداء خلفهـا ظلمـة توشك أن تلمسـها . بـالفعل كانت كذلك لأنهـا أخفت أجزاء داخليـة مـن البـاب كـان يجب أن تكون مرئية . فى الواقـع خرجت الظلمـة من محبسـها وأظلمت السماء لأنها حلقت بجناحين غشائيين .

كـانت الرائحـة المنبعثـة مـن هذه الفتحـة لا تطـاق . وأحـس (هوكنز) ذو الأذنين الحساستين بأنه يسـمع شيئًا كريهًا ينزلق تحت . وقف الجميع يصغون .. ظلوا يصغون عندما ظهر الشىء وحشر كيانه الهائل الجيلاتينى الأخضر عبر الفتحـة ليخرج إلى هواء المدينة .

هنا تخلت عن (يوهانسن) قدرته على الكتابة ..

يعتقد أن رجلين من رجاله هلكا بفعل الذعر فى هذه اللحظـة . لا يمكن وصف الشىء .. لا توجد لغة قـادرة علـى وصف هذا الجنون . هذه هى اللحظة ذاتها التـى أصيب فيهـا (ويلكوكس)

بالحمى وانتحر مهندس معروف . لقد نهض الكيـان القديم لينـال حقه ، وما فشل فيه أتباع هذه الديانة على مـدى قرون ، نجحت فيه مجموعة من البحارة التعسين صدفة .

قبل أن يفر أحد سقط ثلاثـة رجـال وقـد مستهم الممسـات المخيفة . ووجد يوهانسن نفسه محشورًا فى أحد زوايا البناء .. زاوية بدت لعينة حادة لكنها كانت منفرجة من الداخل .

تحرر وجرى مع صاحبه (بريدن) نحو اليخت ..

لـم يستغرق الأمر سوى بضـع دقـائق كـى يتحـرك اليخـت (أليرت) مبتعدًا عن تلك المياه اللعينة .

لكن كتولو المرعب تقدم نحـو الضفة وانزلق فى الماء وراح يسبح نحوهما بضربات ترفع الأمواج بقوة كونية . ظل (بريدن) يرمق المشهد ويضحك .. وظل يضحك ويضحك حتـى مـات ذات ليلة فى القمرة ، أما (يوهانسن) فبدأ يهذى . لكنه تماسك لأنـه أدرك أن بوسـع الشـىء الـذى سد الطريـق أن يلتهـم اليخـت (أليرت) فى أية لحظة ، لذا زاد سرعة المحرك ثم جرى علـى السطح وعكس وضع عجلة القيادة ..

دوى صوت مخيف وتصاعدت الفقاقيع وتزايد البخـار الخـارج من المحرك . واندفع النرويجى الشجاع نحو كتلة الهلام العملاقة التى ارتفعت فوق الفقاقيع .

اقترب الرأس المخيف جداً لكن (يوهانسن) واصل الاندفاع نحوه . رائحة عفنة كأنه ألف قبر مفتوح .. ضوضاء لا يقدر أحد على تسجيلها على الورق .

وللحظة غاب اليخت فـى سحابة خضراء عفنـة الرائحـة ، ثم اخترق اليخت الشىء الكريه .. وهنا راح ذلك الشىء يلتحم ثانية كأنه غاز سام ..

لكنه كـان يبتعد .. فى كل ثانيـة كـانت المسافة تتزايد بينمـا اليخت يظفر بمزيد من السرعة .

هنا فقط استطاع يوهانسن أن ينزل إلى قاع اليخت ليظفر بشىء من طعام له وذلك المجنون الذى لا يكف عن الضحك جواره .

ثم جاءت عاصفة الثانى من إبريل فلم يعد يذكر أى شىء .

كأنه كان يبحر فى دوامـات حـول خلجان اللانهائيـة الذائبـة ، ويرحل عبر المجرات متعلقًا بذيول الشهب .. وثبات جنونية من القاع إلى القمر ومن القمر للقاع ثانية ..

لا يعرف متى ولا كيف جاءت سفينة (فيجيلانت) لتنقذه .

لم يكتب ما رآه ولم يصفه حتى لا يحسبوه مجنونًا . فقط قـرر أن يكتب لما شعر بقرب موتـه . المـوت سيكون شيئًا رائعًا لـو كان بوسعه محو الذكريات .

هذا هو ما كتبه وقد وضعت الأوراق جوار مذكرات عمى وذلك النقش . لن أقدر على النظر إلى الكون بالطريقة ذاتها ثانية ، وحتى سماء الربيع وشمس الصيف سوف تكون أقرب إلى السم بالنسبة لى .

لا أحسب حياتى ستكون طويلة ؛ لأننى سأرحل كما رحل عمى المسكين وكما رحل (يوهانسن) . إن الأتباع أحياء وكذلك كتولو .. لقد عادت مدينته اللعينة للغوص تحت البحر لأن (فيجيلانت) عبرت تلك البقعة مرة أخرى فلم تر شيئًا .. لابد أنه فوجئ بأنه يغوص ثانية ، وإلا لكان العالم يصرخ اليوم من الرعب والجنون .

من يعرف النهاية ؟.. ما طفا قد يغوص وما غاص قد يطفو ..

البشاعة تنتظر وتحلم فى الأعماق بينما العطب يزحف على مدن البشر . سوف يأتى وقت (كتولو) لكن ليس بوسعى ولا يجب أن أفكر فى الأمر .

أدعو الله لو لم أعش طويلاً ، أن يتأكد من يعدموننى من أن هذه السطور لن تراها عين بشرية أخرى .

1926

موديــل بيكمان

لا حاجة بك لأن تفترض فى الجنون يا (إليوت) ، فالكثير ممن سواى لديهم ميول أغرب من هذا . لِمَ لا تسخرْ من جد (أوليفر) الذى لا يركب سيارة أبدًا ؟.. لو كنت لا أحب هذا النفق اللعين فهذا شأنى . لقد وصلنا على كل حال بسرعة راكبين عربة أجرة ، ولو أخذنا السيارة لكان علينا أن نتسلق التل من بارك ستريت .

أعرف أننى أكثر عصبية مما كنت عندما رأيتنى العام الماضى ، لكن لا يجب أن تطلب رأى الأطباء . هناك سبب قوى وإننى لأحمد الله على أنى ما زلت محتفظًا بعقلى بعد هذا كله . لِمَ نركب فى الدرجة الثالثة ؟.. لم يكن الفضول من دأبك فيما سبق .

حسن .. لو كان ينبغى أن تعرف القصة فلا أرى سببًا يمنع ذلك . ربما وجب هذا لأنك تكتب لى كأنك أب قلق منذ عرفت أننى قاطعت نادى الفنون وقررت الابتعاد عن بيكمان . الآن وقد اختفى الرجل صرت أتردد على نادى الفنون لكن ليس بكثرة لأن أعصابى لم تعد كما كانت ..

لا .. لا أعرف ما حل ببيكمان ولا أريد أن أخمن . لابد أنك حدست أن لدى أسبابًا دفعتنى للتخلى عنه ، لهذا لا أريد أن أفكر فى المكان الذى ذهب له . دع رجال الشرطة يعرفوا ذلك ، فهم لا يعرفون مثلاً بالمكان الشمالى فى (نورث اند) الذى استأجره بيكمان باسم (بيترز) .

لا أعتقد أننى قادر على العثور عليه ثانية ، دعك من أنى لا أريد ذلك حتى فى ضوء النهار .

أخشى أننى أعرف لماذا أحتفظ بهذا سرًا ، ولسوف آتـى لهذه النقطة . سوف تفهم عندما أنتهى لماذا لم أبلغ الشرطة . لا أستطيع العودة هناك حتى لو كنت أعرف الطريق . لم أعد قادرًا على اجتياز الأنفاق أو النزول لأى قبو وأعرف أن هذا يثير ضحكك .

أنا أعرف أن بيكمان كان موهوبًا وعبقريًا لهذا أقبل أى اتجاه يتخذه فى عمله ، ورأيى أن بوسطن لم تعرف فنانـا أفضل من (ريتشارد أبتون بيكمان) . لم يتغير رأيى لحظة حتى عندما رأيت لوحة (غول يأكل) التى جعلت (مينوت) يقاطعه .

كما تعرف يحتاج المرء لموهبة عظيمة كى يخرج أعمالاً كالتى يقدمها بيكمان . كل رسام لأغلفة المجلات يمكن أن ينثر بعض الألوان ويسميها (ليلة السابات) أو (كابوس) لكنك تحتاج لفنان حقيقى كى تقدم لوحة مرعبة عن موضوع كهذا ؛ فالفنان الحقيقى هو من يعرف تشريح الخوف أو فسيولوجية الهلع . يعرف خلطة الظلال والخطوط والإضاءة التى تثير ذلك الإحساس النائم فينا بالغرابة . لهذا تبعث لوحات (فيوسيلى Fuseli)(*) القشعريرة فيك . كذلك (أنجارولا Angarola) الأمريكى امتلك تلك الموهبة . ترى ماذا يراه هؤلاء ويرسمونه ؟.. لكن دعنا نشرب ونتكلم عن شىء آخر ..

(*) فنان بريطانى سويسرى المولد تخصص فى رسم الرعب وهو صاحب لوحة (الجاثوم) الشهيرة ..

تعـرف أن نقطـة قوة بيكمـان كـانت الوجـوه .. منـذ عصـر (جويا Goya) لم أر فنانًا رسم الجحيم ذاته على الوجوه .. قبـل (جويا) عليك أن تبحث عن فنانى القرون الوسطى الذيـن نحتوا الكراجل Gargoyles على كنيسة النوتـردام . لقد صدقوا أشياء كثيرة وربما رأوا أشياء كثيرة كذلك ..

أنت سألت بيكمان عن مصدر رسومه فضحك .. تلك الضحكـة الكريهة التى أفزعت (ريد) وجعلتـه يقـاطع بيكمـان . ريد كـان مولعًا بدراسة علم الأمراض ، وقد قال لنا إن بيكمان يثير نفوره بل ورعبه . قال إن ملامحه تتغير يومًا بعد يـوم حتى إنـه ليبدو أحيانًا غير آدمى .

لكن تذكر أنـى لـم أتخل عن بيكمـان لسبب كهذا ، بـل ازداد إعجـابى بـه ، لأن لوحـة (غـول يـأكل) كـانت مذهلـة . لم يقبـل النادى عرضها كما لم يقبلها متحف الفنـون الرفيعـة كهديـة . لم يشترها أحد فظلت فى بيت بيكمان . هى الآن فى بيت أبيـه فى (سالم) .. تعرف أن بيكمان من (سالم) ولـه جد شنق هنـاك بتهمة السحر عام 1692 .

لقد رأيت لوحاتـه فـانبهرت بهـا ، ولـم يمر وقت طويـل حتى صرت من المخلصين له . بدأ يثق فى أكثر فأكثـر ، فلمح لى ذات ليلة أننى لو أغلقت فمى وتماسكت ، فهو سوف يرينى شيئًا غير معتاد .. شيئًا يفوق كل ما رأيته حتى هذه اللحظة .

قال لى فى حماس :

ـ « هل تعرف أنه كانت هناك طاحونة على تلة (كوب) عام 1632 ؟.. هل تعرف أن نصف الشوارع فى (نورث اند) خططت عام 1650 ؟.. يمكننى أن أريك بيوتـا صمدت قرنين أو أكثر .. ما الذى يعرفه المعاصرون عن الحياة والقوى الكامنة خلفهـا ؟.. ماذا تعرف عن سحرة (سالم) ؟.. جدى كان بوسعه أن يخبرك بالكثير ، فقد شنق بينما (ماثر) اللعين(*) يراقب المشهد لأنه كـان مذعورًا من أن يحدث شىء يغير إيقاع الحياة الرتيب .. ألا لعنـة الله عليه !.. ليت أحدهم امتص دمه ليلاً ..

« يمكننى أن أريك البيت الذى عاش فيه ، كما يمكننى أن أريك بيوتًا كان يخشى أن يدخلها برغم ادعائه الشجاعة .. كان يعرف أشياء .. هل تعرف أن (نورث اند) كان يحوى أنفاقًا تصل بيوت النـاس ببعضهـا وتصلهم بـالمقبرة والبحـر ؟.. كـانوا يسمعون أصواتًا لا يعرفون مصدرها طيلة الليل .. يمكننى أن أريك شيئًا غريبًا فى قبو ثمانية بيوت من كل عشرة من البيـوت التـى بنيت قبل عام 1700 . كانت هناك ساحرات مع كل ما تستدعيه طقوسهن السحرية .. كان هناك قراصنة مع كل ما جلبوه من البحر .. مهربـون .. النـاس كانوا يعرفون كيف يعيشون فى تلك الأزمنـة !.. قارن بين هؤلاء وعقول اليـوم الورديـة المترهلـة التـى تهز أكتافهـا فـى استنكار لو رأت لوحة يخرج موضوعها عن منضدة شاى !

(*) كوتن مـاثر Mather شخصية أمريكية حقيقية شهيرة جدًا تخصص فـى محاكمة الساحرات وإعدامهن وله عدة كتب عن السحر .

- « المزية الوحيدة للحاضر هى أنه غبى بحيث لا يفكر كثيرًا فى الماضى . بم تخبرك الخرائط وأدلة السياح ؟.. لا شىء .. يمكننى أن أريك أزقة وممرات لا يشك فى وجودها أحد من الأحياء .. وما من أحد يمكنه الانتفاع من هذه المعرفة .. لا .. هناك واحد يمكنه الانتفاع، فأنا لم أجر هذا التنقيب بلا مقابل .

- « هل تعرف يا (ثيربير) أن لدى مرسمًا آخر هناك ، حيث يكون بوسعى أن أرسم الكوابيس مباشرة ؟.. بالطبع لا أخبر بهذا أحدًا من هؤلاء العجزة فى النادى ، و(ريد) اللعين يهمس فى كل مكان أننى وحش يهوى لأسفل فى منحدر الارتقاء . لقد أزمعت منذ زمن أن أرسم الرعب كما نرسم الحياة من الحياة ذاتها .. لذا بحثت حيث يوجد الرعب ..

- « أعرف مكانًا أشك فى أن ثلاثة رجال أحياء يعرفون عنه أى شىء .. إن عمره قرون ، وقد استأجرته من أجل بئر من القرميد فى القبو .. هذا الكوخ يتهاوى لذا لم يعد أحد يعيش هناك وأكره أن أخبرك بضآلة المبلغ الذى أدفعه . أرسم فى القبو حيث الإلهام الكثيف لكنى استأجرت غرفًا أخرى فى الطابق الأرضى ، وقد استخدمت اسمًا مستعارًا هو (بيتر) .

- « لو أردت سآخذك هناك الليلة .. سوف تحب الرسوم .. أنا أذهب هناك على القدمين لأننى لا أريد لفت الأنظار بسيارة

أجرة فى مكان كهذا . سوف نستقل عربة من (ساوث ستيشن) قاصدين باترى ستريت ، ومن هناك لن تكون المسافة بعيدة . »

حسن يا إليوت .. لم يكن هناك الكثير مما أفعله بعد هذه الخطبة البليغة ، سوى أن أمنع نفسى من الفرار بدلاً من ركوب أول عربة أجرة وجدناها . سرعان ما وصلنا لشارع باترى ومشينا جوار الميناء القديم .. لا أذكر الشوارع بدقة ولا أذكر أية تقاطعات اتخذناها لكنه لم يكن زقاق (جريناف) على كل حال .

كان علينا أن نرتقى أقدم وأقذر زقاق رأيته فى حياتى ، بنوافذ صغيرة مهشمة ومداخن شبه بالية تقف متهالكة أمام السماء التى ينيرها القمر . لا أعتقد أن هناك أى بيت لم يكن موجودًا فى عصر (كوتن ماثر) .

من هذا الزقاق دلفنا إلى اليسار حيث زقاق مماثل صامت وضيق بلا ضوء على الإطلاق . ثم كان ينحرف بزاوية منفرجة إلى اليمين . أخرج مصباحًا سلطه على باب متهالك يعود لعصر الطوفان . ثم دخلنا إلى ممر يبطنه خشب البلوط .. بسيط لكنه يوحى لك فعلاً بعصور السحر الأولى . أخيرًا أوقد مصباحًا من الزيت وطلب منى أن آخذ راحتى .

حسن يا إليوت .. أنا رجل شديد المراس كما يقولون لكن أعترف أن ما رأيته على جدران هذه الغرفة قد أفزعنى . إنها لوحاته التى لم يكن يجسر على عرضها فى شارع (نيوبيرى) .. كان محقًا عندما قال إنه لأخذ راحته .. خذ كأسًا فأنا بحاجة لواحد !

لا جدوى من أن أصفها لك لأن الرعب الشنيع الكافر والبشاعة المستعصية على التصديق يأتيان من لمسات تفوق قدرة الكلمات على التصنيف . لم تكن هناك تعقيدات ولا خلفيات متحذلقة . الخلفيات كانت ساحاتِ كنائس قديمة وغابات وصخورًا على البحر وأنفاقًا .. مقبرة هضبة (كوب) القريبة من هذا الموضع .

الرعب الحقيقى كان يأتى من الأشكال الأمامية فى الصور لأن براعته الأساسية كانت فى البورتريهات الشيطانية . لم تكن وجوه بشر بالضبط .. كانت كائنات تمشى على قدمين ومنحنية للأمام ولها طابع عام كلبى . كل هذه الكائنات كانت تأكل .. لا تسألنى تأكل ماذا ..

كانوا يظهرون كمجموعات فى المقابر وتحت الأرض أو متصارعين على الفرائس .. أحيانًا تراهم يثبون من نوافذ مفتوحة ليلاً ، أو يقعون على صدور النيام .. هناك لوحة تظهرهم يلتفون حول ساحرة مشنوقة وجهها يشبه وجوههم .

إنها حية !.. صدقنـى فلست صبيًا فى الثالثة . هذا الساحر الملعون قد أيقظ الشياطين علـى القمـاش وفرشـاته كـانت عصـا سحرية . ناولنى هذا الإناء يا إليوت !

كانت هنـاك لوحـة اسمها (الـدرس) .. فلـيرحمنى اللـه !.. تصور مجموعة من هذه الكائنات الكلبية تحيط بطفل ليلاً وتعلمـه كيف يأكل مثلها !.. . هنا بدأت أفهم .. هناك ارتبـاط بين وجوه الأطفال ووجوه هذه الكائنـات الكلبيـة .. لقد رسم بيكمـان حلقـة الوصل .. هذه الكائنات كانت بشرًا قبل هذا !

استبدال الأطفال ... هل تذكر الأسطورة التى تقول إن الأشرار يسرقون الأطفال الرضع ويضعون بذرتهم مكانهم فى المهد ؟..

ثم إنه حمل المصباح واقتادنى إلـى غرفـة أخرى ، وقـد سره الفزع الذى بدأ يظهر علىَ . فى الغرفة الثانية كانت لوحات أكثر إرعابًا ... هناك لوحـة تظهـر مجموعـة من تلـك الكائنات تسللت عبر مقبرة تحت الأرض إلـى نفق (بـابيلون ستريت) لتهـاجم الناس الواقفين على الرصيف بانتظار المترو . هناك عدة لوحات لكائنات من هذه وقد تسللت إلى قبـو ، وهى تنتظر فى ركن مظلم أولئك الذين سينزلون الدرجات إلى ذلك القبو .

هناك رسم أثار ذعرى بالذات وهو مجموعة من المسوخ تحيط بأحدها فى قبو تحت الأرض ، وهو يمسك بدليل سياحى لبوسطن فى يده ويقرأ بصوت عال . كانوا يضحكون بوحشية حتى إننى كدت أسمع ضحكاتهم .

كنت أشعر بفزع من بيكمان ، فلابد أن الرجل تجرد من كل عطف أو حب للبشر حتى يروق له أن يرسم كل هذا التعذيب والرعب .. ثم إننى كنت خائفًا من روعة الأعمال .. هذه ليست رسومًا تمثل الشياطين بل هى الشياطين ذاتها .. والغريب أن الرجل لم يستخدم أساليب الغموض والإيحاء بل كان كل شىء واضحًا محددًا .. لم يحاول أن يرينا ضبابية الأحلام بل جعل كل شىء واقعيًا دقيقًا ..

شىء واحد كان مؤكدًا .. بيكمان كان بكل معنى الكلمة واقعيًا دقيقًا علميًا ..

كان الآن يقتادنى لمرسمه ذاته وقد هبطنا لأسفل الدرجات الرطبة . أشار بالكشاف إلى فتحة فى الأرض وقال لى إن هذه تقود إلى ما كان يحكى عنه .. شبكة الأنفاق تحت الأرض .

نظرت للبئر ورحت أفكر فى الأهوال التى قد كانت تحويها ، وارتجفت .

كانت الغرفة مضاءة بمصباح من غاز الأسيتيلين ، وكانت اللوحات التى لم تنته بعد معلقة على الجدار مرعبة كمثيلاتها المكتملات . كانت مرسومة بعناية رهيبة .. الرجل كان عظيمًا وأنا أقولها من جديد .. فقط لاحظت كاميرا كبيرة على المنضدة فأخبرنى أنه يصور بها الخلفيات التى يتخذها لرسومه .

ثم أزاح الستار عن لوحة جعلتنى أطلق صرخة رعب .. الصرخة الثانية لى هذه الليلة ، فقد كانت تظهر كيانًا جبارًا لا اسم له ، وله عينان حمراوان تلمعان ، وكان يمسك بيد مخلبية بقايا رجل وهو يقضم رأسه كما يقضم الطفل قطعة حلوى . كان يجلس القرفصاء لكن كلما أمعنت النظر شعرت بأنه سوف يتخلى عن فريسته بحثًا عن فريسة أكثر دسامة . لكن لم تكن بشاعته ولا التفاصيل هى ما سبب ذعرى .. لم تكن هى بالشىء الذى يدفع رجلاً مذعورًا للجنون .

كانت التقنية .. التقنية غير الطبيعية يا إليوت .. لم أر فى حياتى قط الحياة ذاتها وقد ذابت على قماش الرسم . المسخ كان هناك وكان يمضغ ويمضغ .. أعرف أن قوانين الطبيعة تجعل من المستحيل أن يرسم إنسان شيئًا كهذا من دون موديل . من دون لمحة لعالم سفلى لم يظفر بها أى بشرى لم يبع نفسه للشيطان .

كانت هناك قطعة ورقية مثبتة بدبوس ضغط لجزء خال من القماش ، وكانت مجعدة .. خطر لى أنها صورة فوتوغرافية للخلفية التى رسم بيكمان اللوحة عليها . مددت يدى لها فتصلب بيكمان كأنه ضرب بالرصاص . كان يصغى لأصداء صرختى ، لكنه الآن انتفض تحت تأثير رعب جارف وأخرج مسدسًا وأمرنى بالصمت ، ثم خرج إلى القبو الرئيس وأغلق الباب خلفه .

أحسبنى أصبت بالشلل للحظة . جربت أن أصغى مثله فسمعت صوت شىء ينسل فى مكان ما مع صرخات حادة لم أعرف اتجاهها . ثم جاءت قرعات جعلت جلدى يصير جلد إوزة .. قعقعة مختلسة لا أعرف كيف أعبر عنها .. كأنها خشب ثقيل يسقط على حجر . خشب على حجر .. ماذا جعلنى هذا أفكر فيه ؟

عاد الصوت أعلى .. ثم دوت ضوضاء وصراخ مختلط من بيكمان .. ثم الصوت الذى يصم الآذان لدوىّ الرصاصات الست من مسدسه . كان يطلق كأنه مروض أسود يطلق الرصاص فى الهواء للتخويف .

من جديد الدوى .. ثم صوت باب يفتح ..

ظهر بيكمان على الباب والدخان يخرج من فوهة مسدسه وهو يشتم الفئران التى تعمر الجدران العتيقة .

ـ « لا أعرف ما تأكله الفئران يا ثيربر .. هذه الأنفـاق تصل للمقبرة وعرين الساحرات .. لكن صراخك أرعبها ، ولكن كن حذرًا فى هذه الأماكن العتيقة .. برغم أننى أعتقد أن هذه الفئران مهمة لعملى من حيث الجو واللون ..

ـ « كانت هذه يا إليوت نهايـة مغامرة الليل . لقد وعد بـأن يرينى المكان وقد فعل ذلك ..

اقتادنى عبر شبكة الممرات فى اتجاه آخر لأننا حين خرجنا كنـا فى شـارع نصف مـألوف تحيط بـه بيوت عتيقـة . هذا شـارع (تشارتر) لكننى كنت مرتبكًا فلم أدر متى بلغناه . عدنـا للمدينـة عبر شارع (هانوفر) .. وتركنى بيكمان عند ركن (جوى) ولـم أتكلم معه ثانية بعد ذلك ..

لم تخليت عنه ؟.. لا تفقد صبرك .. انتظر حتى أطلب القهوة ..

لم تكن الرسوم هى السبب .. برغم أنهـا كـانت كافيـة لجعلـه منبوذًا فى تسعة أعشار بيوت بوسطن .. أعتقد أنـك تفهـم الآن لماذا أكره الأنفاق والأقبية .. كان هذا شيئًا وجدته فى جيبى فـى الصباح التالى . الورقة المجعدة التى وجدتها على قماش اللوحـة فى القبو . الورقة التى يبدو أننى دسستها لا شعوريًا فى جيبـى .. هذه هى القهوة .. خذها سوداء بلا سكر يا إليوت .. صدقنى ..

هذه الورقة هى سبب مقاطعتى لبيكمان أعظم فنان عرفته . أشر كيان عبر من حدود الحياة إلى حفر الأسطورة والجنون . ريد كان على حق .. لابد أن بيكمان وجد طريقة يفتح بها البوابة المحرمة . لا فارق لأنه عاد إلى الظلمات التى يحبها ..

فلنشعل الشمعدان ..

لا تسألنى عن الشىء الذى أحرقته .. لا تسألنى عن سبب هذه الأصوات التى زعم بيكمان أنها فئران . هناك أسرار تعود لماضى (سالم) وقد حكى (ماثر) عن الكثير . كنا نتساءل عن تلك الوجوه التى رسمها بيكمان فى لوحاته .

لم تكن تلك الورقة صورة تستعمل كخلفية للمشهد ، بل كانت تظهر ذلك المسخ الشيطانى الذى رسمه على القماش .. كان هذا هو الموديل الذى استعمله وكانت خلفية الصورة هى المرسم الذى كنت فيه ..

لقد كانت صورة فوتوغرافية حقيقية يا إليوت !

بحث إيرانون

فى مدينة (تيلوث) الجرانيتية يمشى الشاب وقد توج رأسه بالكَرْم، وشعره الأصفر يلتمع بنبات المُر، وقد تمزق رداؤه الأرجوانى من أشواك نبات (السيدراك) المزروع عبر الجسر الحجرى العتيق. رجال (تيلوث) عابسون سمر البشرة يعيشون فى بيوت مكعبة، وقد سألوا الغريب من أين جاء وما اسمه ووجهته، فأجاب الشاب:

- « أنا (إيرانون) .. جئت من (إيرا) وهى مدينة نائية أتذكرها بصعوبة لكننى أريد أن أجدها ثانية. أنا أغنى الأغانى التى تعلمتها فى المدينة البعيدة .. ثروتى هى الذكريات والأحلام التى أغنى لها فى الحدائق، حين يكون القمر حانيًا وريح الشمال تداعب براعم اللوتس ..

- « عندما سمع رجال (تيلوث) هذا تهامسوا؛ لأن أهل المدينة صارمون لا يضحكون ولا يغنون، لكنهم أحيانًا ينظرون لجبال (كارثيا) فى الربيع ويفكرون فى معازف (أووناى) التى حكى عنها المسافرون. هكذا سمحوا للغريب بالبقاء والغناء أمام برج (ملين) برغم أنهم لم يحبوا لون ثيابه ولا الشباب فى صوته الذهبى.

فى المساء كان (إيرانون) يغنى .. فقال رجل كفيف إنه رأى هالة فوق رأس المغنى. لكن معظم قوم (تيلوث) تثاءبوا وبعضهم نام لأن إيرانون لم يقل شيئًا مهمًا سوى الغناء لذكرياته وأحلامه.

ـ « إيرا .. يا مدينة الرخام والفيروز .. ما أكثر محاسنك !.. لكم أحببت الأيك فى (نيثرا) وشلالات (كرا) التى تجرى عبر الوادى الأخضر !.. فى تلك الرياض كان الصبية يصنعون الأكاليل لبعضهم ، وعند الغسق حلمت بحلم غريب تحت شجرة (إلياث) عندما رأيت تحتى أضواء المدينة ، و(نثرا) يتلـوى ليعكس شريطًا من النجوم ..

ـ « فى المدينة كانت قصور من الرخام لها قباب ذهبية وجدران منقوشة وحدائق خضر ونوافير بلورية . كم نمت وحلمت بين الأزهار الشاحبة تحت الأشجار ، وأحيانًا كنت أتسلق إلى القلعة وأنظر إلى إيرا تحتى .. مدينة الرخام والفيروز السحرية فى ثوب من اللهب الذهبى ..

ـ « لكم أفتقدك يا إيرا ..!.. كنت صغيرًا عندما ذهبنا إلى المنفى ، لكن أبى كان ملكك ولسوف أعود لك ثانية .. بحثت عنك فى سبع أراضين ويومًا ما سأحكم رياضك وحدائقك وشوارعك وقصورك .. ولسوف أغنى للرجال الذين يعرفون عن أى شىء أغنى .. أنا إيرانون أميرا إيرا ..

ـ « فى هذه الليلة جعله الرجال يبيت فى الإسطبل ، وفى الصباح جاءه الحاكم وقال له إن عليه أن يذهب لآزوك الإسكافى ليعمل عنده ..

- « لكننى إيرانون المغنى .. لا أجيد مهنة الإسكافى .. »

- « الكل فى تيلوث يكدح .. هذا هو القانون .. »

قال إيرانون :

- « ولماذا يجب أن تكدحوا ؟.. ألا يمكنكم أن تعيشوا حياة سعيدة ؟.. تكدحون لتحيوا لكن أليست الحياة هى الجمال والغناء ؟.. متى تجنون ثمار كدحكم ؟.. الكد بلا أغان كرحلة طويلة بلا نهاية .. أليس الموت أكثر مسرة ؟.. »

لكن الحاكم كان متجهمًا ولم يفهم ما قيل .

- « أنت شاب غريب وأنا لا أحب صوتك ولا شكلك .. ما تقوله كفر لأن آلهة تيلوث قالت إن الكد طيب .. اذهب إلى (أزوك) الإسكافى أو غادر المدينة قبل الغروب .. »

هكذا مشى الفتى بين البيوت الحجرية الكئيبة يتمنى لو رأى شيئًا واحدًا أخضر .. لم ير سوى العبوس ، لكنه جوار نهر (زورو) الراكد رأى صبيًا يتأمل الماء بعينين حزينتين ، وقال له :

- « هل أنت ذلك الذى يتحدث عنه الحكام ويقولون إنه يبحث عن مدينة خيالية نائية ؟.. أنا (رومنود) الذى ولد هنا لكنه لا يحسن التعامل .. أحن إلى رياض دافئة وأغان وجمال . خلف جبال (كارثيا) هناك مدينة (أووناى) التى حكى عنها المسافرون .

يقولون إنها جميلة ورهيبة .. تعال نغادر (تيلوث) معًا ونقصد تلك المدينة . وسوف أصغى لأغانيك ليلاً عندما تجلب النجوم الأحلام إلى الحالمين . ربما كانت تلك المدينـة هى (إيرا) التى تبحث عنها . سوف يرحب بنا الناس هناك ولن يسخروا منا .. »

قال إيرانون :

ـ « أنـا كنت أغنـى فى صـباى لكن لم يصغ لى أحد .. كـان الرجال يسخرون منى ويطردوننى .. جربت كل مكان لكنـى أعرف أننى لن ألقى الترحاب إلا فى إيرا .. مدينة الرخام والفيروز التـى حكمها أبى يومًا .. سنبحث عن إيرا برغم أننا قد نجدها فى أووناى ، وإن كنت أشك فى هذا لأن جمال إيرا خارق لا يمكن أن تصفه من دون أن تنبهر ، بينما عن أووناى يتهامس راكبو الجمال فى حذر .. »

عند الغروب انطلق إيرانون ورومنود بين التلال الخضر والغابـات الباردة . وكان الطريق وعرًا غامضًا فلم يشعرا قط أنهمـا اقتربـا من أووناى مدينة المعازف والرقص . وعند الغسق كان إيرانـون يغنى لمغانى مدينة (إيرا) بينما الصبى يصغى ، وأكلا الكثير من الفاكهة والفراولة ولم يشعرا بمرور الوقت لكن لابد أن زمنـًا طويلاً مضى . لم يعد رومنود الصغير صغيرًا وإن ظل إيرانـون كما كان .. ثم جاءت اللحظة التى بدا فيها أن رونمـود أكبر سنـًا من إيرانون . برغم أنـه كـان صبيًا صغيرًا عندمـا جلس يتأمل الماء فى نهر زورو الراكد .

ذات ليلة عندما اكتمل القمر ، وصل المسافران إلى حافة صخرية تطل على أنوار أووناى التى لا تعد ولا تحصى . قال لهما الفلاحون إنهما قريبان ، وعرف إيرانون أن هذه ليست مدينته . كانت الأنوار هنا حادة بينما فى مدينته كانت الأضواء ناعمة كضوء القمر إذ تسرب من النافذة بينما أمه تغنى له وهو طفل . أووناى كانت مدينة معازف ورقص لذا انحدر إيرانون وورومنود بحثًا عن أناس يجلب لهم الغناء والأحلام بعض السعادة . لكنهما وجدا فى المدينة أناسًا يعربدون بين بيت وبيت ويطلون من النوافذ والشرفات . وقد وضعوا أكاليل الورود ، وكلهم يصغون لغناء إيرانون ويقذفونه بالورود .. هكذا شعر الرجل بأنه وجد أولئك الذين يفكرون ويشعرون مثله .

عندما بزغ الفجر نظر إيرانون حوله فى حسرة ؛ لأن قباب أووناى لم تكن ذهبية فى الشمس ، ورجال أووناى كانوا شاحبين من العربدة أثقلت الخمر عقولهم ، فلم يكونوا كرجال إيرانون . لكنهم أحبوا غناءه لذا قرر أن يبقى معهم .

راح يغنى فى القصور على منصة بلورية فوق أرض من المرايا ، ومنحه الملك عباءة أرجوانية محلاة بالذهب وأساور من العاج وأسكنه فى غرفة مذهبة على فراش من الخشب المنقوش ، له سقف من الحرير الموشى بالزهور .. هكذا عاش إيرانون فى أووناى مدينة المعازف والرقص ..

لا نعرف كم مكث إيرانون فى أووناى ، لكن ذات يوم جاء الملك براقصين متوحشين مـن صحراء ليرانيان ، وعازف نـاى داكن البشرة من درينن فى الشرق ، ومن ثم كف القوم عن إلقاء أزهارهم على إيرانون وراحوا يلقونها على الراقصين وعازف الناى .

الفتى رومنود كبر أكثر فـأكثر واحمر وجهه من فرط شرب الخمر ، وصار يحلم أقل فأقل ، ولم يعد يهتم كثيرًا بغناء إيرانـون . وذات ليلة كان الفتى الذى ازداد سمنة يلتهم طعام مأدبة عندما راح يشهق ويبحث عن الهواء ، ثم مات مختنقًا جوار إيرانون الذى كان يغنى فى حزن .

بعد ما بكى إيرانون جوار قبر رومنود ، ألقى عليه أغصان الأشجار التى كان يحبها ، ثم نزع ثيابه التى منحها له الملك وغادر مدينة أووناى .. مدينة المعازف والرقص ..

فى ضوء الغروب مضى إيرانون يبحث عن مدينته ورجال يفهمون أغانيه وأحلامه . ظل شابًا للأبد وهو يغنى لإيرا بهجة الماضى وحلم الغد .

ذات ليلة بلغ كوخًا عتيقًا لراع يحرس قطيعًا ، على منحدر صخرى يطل على مستنقع رمال متحركة . قال له إيرانون :

ـ « هلا أخبرتنى عن مكان إيرا .. مدينة الرخام والفيروز .. حيث يجرى نثرا وحيث تغنى شلالات نهر كرا للوديان الخضر ؟.. »

سمع الراعى هذا فنظر بدهشة لإيرانون كأنه يتذكر شيئًا ثم هز رأسه وقال :

- « أيها الغريب .. أنا قد سمعت اسم إيرا والأسماء الأخرى التى ذكرتها ، لكنها تأتينى عبر ذكريات قصية .. سمعتها فى شبابى من شفتى صديق لعب .. ابن متسول اعتاد أن يؤلف قصصًا خرافية عن القمر وحكايات الأرض الغربية . كان يحسب نفسه ابن الملك برغم أننا كنا نعرفه منذ ولد .. كان وسيمًا لكنه مليء بالحماقة والغرابة . وقد هرب فى صبانا كى يجد من يصغون لقصصه وأحلامه . كان يحكى عن أرض لم تكن ولا يمكن أن تكون !.. كان يحكى عن إيرا ونهر كرا . كان يحكى أنه عاش هناك كأمير برغم أننا عرفناه منذ ولد ولم تكن هناك قط مدينة اسمها إيرا .. لا وجود لها إلا فى أحلام صديق طفولتى إيرانون .. »

وفى ضوء الشفق إذ ظهرت النجوم واحدة تلو أخرى ، مشى نحو الرمال المتحركة رجل مسن يلبس ثيابًا رثة أرجوانية ، وعلى رأسه تاج من أوراق الكَرْم ، وهو ينظر أمامه كأنما يتأمل قباب إيرا الذهبية ، حيث يفهمون الأحلام . فى تلك الليلة شهد العالم القديم مصرع الجمال والشباب .

موسيقا إريك زان

لقد قمت بفحص خرائط المدينة بعناية عظيمة ، لكنى لم أجد شارع (دوسيه) ثانية . لم تكن الخرائط حديثة فحسب لأننى أعرف أن الأسماء تتغير . لقد بحثت فى كل التاريخ القديم للمكان وبحثت فى كل بقعة عن هذا الشارع . برغم هذا تظل الحقيقة المحرجة هى أننى غير قادر على إيجاد البيت ولا الشارع الذى سمعت فيه فى الأشهر الأخيرة من حياتى الفقيرة كدارس ميتافيزيقا بالجامعة موسيقا (إريك زان) .

كون ذاكرتى محطمة فهذا شىء لا يدهشنى .. إن صحتى العقلية والجسدية قد تأذت كثيرًا أثناء إقامتى فى شارع (دوسيه) . لكنى ما زلت مرتبكًا لأننى نسيت المكان الذى لم يكن يبعد عن الجامعة أكثر من نصف ساعة من المشى وكان مميزًا .. لكنى لم ألق قط من رأى شارع (دوسيه) .

يقع الشارع عبر نهر أسود المياه تحيط به مستودعات بنيت من قرميد ، ويعبره جسر من الحجر الأسود . كان النهر أسود دائمًا كأن دخان المصانع القريبة يحجب عنه الشمس للأبد . وكانت مياه النهر خبيثة الرائحة وأنا أعتمد على هذه الرائحة فى العثور عليه يومًا ما . أخيرًا تصل لممر مبلط بحجر الإسكافى يقودك إلى شارع (دوسيه) .

علق هؤلاء القوم فى ذاكرتى بسبب تقدمهم الواضح فى السن . لا أعرف لماذا عشت فى هذا الشارع لكنها كانت فترة قاسية فى حياتى تنقلت فيها بين عدة مساكن بسبب إفلاسى . حتى وصلت إلى هذا المسكن الذى يملكه (بلاندو) المشلول . كان ثالث بيت من بداية الشارع وأعلى البنايات هناك .

غرفتى كانت فى الطابق الخامس وكانت الوحيدة المسكونة لأن البناية كانت خالية . ليلة وصولى سمعت موسيقا من العلية فوقى وسألت عنها (بلاندو) العجوز فى اليوم التالى . قال لى إن العازف هو ألمانى أخرس يعزف الكمان يوقع باسم (إريك زان) .. قال لى إن هواية (زان) فى العزف بعد عودته من الأوركسترا ليلاً هى سبب اختيار هذه الغرفة له .

رحت أسمع زان كل ليلة ، وبرغم أنه كان يمنعنى من النوم ، فإن غرابة موسيقاه أبهرتنى .. لم تكن تمت بصلة لأية موسيقا سمعتها من قبل . قررت أنه عازف شديد الأصالة .. كلما أصغيت انبهرت وبعد أسبوع قررت أن أتعرف به .

ذات ليلة كان عائدًا من العمل فاستوقفته وقلت له إننى أريد أن أعرفه وأكون معه وهو يعزف . كان رجلاً صغير الحجم متواضع الثياب أزرق العينين له وجه غريب ورأس أصلع . وبدا كأنه اندهش وغضب لكلماتى . فى النهاية تراجع أمام مودتى

الواضحة . وأشار لى أن أتبعه إلى العلية . كانت غرفته فى الجهة الغربية المطلة على الشارع ، وكانت غرفته واسعة جدًا .. بدت كذلك بسبب خلوها من الأثاث . سرير معدنى وحوض غسيل وثلاثة مقاعد ومكتبة عملاقة . كان الغبار وخيوط العنكبوت فى كل مكان مما جعل المكان يبدو غير مسكون . من الواضح أن عالم الجمال الذى يراه موجود فى خياله فقط .

أغلق الباب وأشعل شمعة وأخرج الكمان من علبته المتآكلة وجلس على مقعد غير مريح . لم ينظر لنوتة وإنما راح يعزف من الذاكرة .. سحرنى لمدة ساعة بمقطوعات لم أسمعها من قبل ومن المستحيل أن يصفها من ليس مختصًا ..

دندنت لنفسى هذه الألحان مرارًا فيما بعد ، وعندما انتهى عزفه طلبت منه أن يكرر بعض المقاطع فوضع القوس جانبًا وارتسم على وجهه ذلك المزيج من الخوف والضيق الذى رأيته على وجهه أول مرة . حاولت أن أصفر بعض الألحان كما سمعتها منه أمس ، لكن يده العظمية امتدت فى حزم إلى فمى لتمنعنى من تقليد هذه الألحان .

وهنا أظهر علامة أخرى على غرابة أطواره عندما اختلس نظرة إلى النافذة كأنه يخشى قدوم متطفل يتوقعه ، وهو تصرف

غريب لأن العليـة تقـع فـوق مسـتوى كـل البنايـات المحيطـة بهـا وهذه النافذة تطل على الشارع المنحدر .

شعرت برغبة فى أن ألقى نظرة من تلك النافذة لأرى تلك الأسطح التى يغمرها ضوء القمر ، والتى لا يبصرها أحد سوى هذا الساكن . اتجهت للنافذة وكدت أجذب الستائر عديمة الشكل ، لولا أن لحق بى الساكن الأخرس بغضب مذعور أكثر مما سبق ، وهذه المرة كـان يشير للباب فى عصبية متأهبًا لجرّى بيديه لو اقتضى الأمر .

تضايقت منه فطلبت منـه أن يتركنى وقلت إننـى سأنصرف . استرخت قبضتى ولاحظ اشمئزازى فبدأ غضبه يتلاشى . ثم أشار لى إلى مقعد كى أجلس وكتب لى كلمات على ورقـة بفرنسية رديئـة جديرة بأجنبى .

كانت الورقـة التى ناولها لى تحمل عبارات طلب العفو . كتب إنـه وحيد عجوز تنتابـه مخاوف غامضـة . لقد أحب إنصـاتى لموسيقاه ورجـا أن أعود لـه ولا أبالى بغرابـة أطـواره . لكنـه لا يطيق أن يسمع ألحانه من شخص آخر ولا يطيق أن يلمس أى شخص شيئًا فى غرفته .

طلب منى أن أطلب من (بلانـدو) أن ينقلنى لغرفـة فى طابق تحت هذا كى لا يضايقنى صوت العزف ليلاً ، وقال إنه سيدفع أى فارق فى الإيجار .

شعرت بتعاطف مع الرجل ، فهو مرهق بمخاوف نفسية مثلى ، وقد علمتنى دراستى أن أتسامح .

جاء صوت من خارج الغرفة فلابد أن المصراع تحرك مع هواء الليل ، لذا أجفلت لكنه أجفل مثلى . صافحته وانصرفت فى النهاية .

فى اليوم التالى أعطانى (بلاندو) غرفة أغلى سعرًا فى الطابق الثالث ، بين غرفتى مراب عجوز ومنجد . لم يكن هناك سكان فى الطابق الرابع .

لم يطلب منى (زان) أن أزوره ثانية ، وحينما زرته لم يبد مستريحًا .. كان هذا فى الليل دومًا لأنه ينام نهارًا . لم يزدد إعجابى به برغم أننى كنت مفتونًا بالعلية والموسيقا الغريبة . كنت أريد أن ألقى نظرة من تلك النافذة ، لكننى تسللت مرة إلى هناك أثناء ذهابه للأوركسترا ، لكن بابه كان مغلقًا .

ما نجحت فيه كان سماع العزف الليلى لهذا العجوز . فى البداية كنت أصعد على أطراف أصابعى للطابق الخامس ثم تجرأت على الصعود للعلية . هناك خلف الباب المغلق الذى تم سد ثقب مفتاحه ، كنت أسمع موسيقا تفعمنى رعبًا غير محدد .. ليس لأن الأصوات كانت مزعجة فهى لم تكن كذلك ، لكن النغمات كانت توحى بشىء غير أرضى وأحيانًا كانت تتخذ شكل سيمفونية لا أتصور أنها تصدر عن عازف واحد .

مـرت الأسابيع وازداد العزف توحشًا بينما اكتسب العازف جموحًا غريبًا .. لم يعد يسمح لى بالدخول فى أى وقت ، وكان يتجنبنى إذا التقينا على الدرج .

ذات ليلة تحول صوت الكمان إلى جحيم من الأصوات جعلنى أشك فى عقلى .. ولولا يقينى من أن هذا الرعب حقيقى .. لولا سماعى خلف الباب تلك الصرخة المفزعة التى لا تخرج إلا من فم أخرس فى أعنف لحظات الرعب . طرقت الباب مرارًا بلا جواب ..

مرت لحظات ثم سمعت العجوز البائس يحاول النهوض من على الأرض .. تصورت أنه فقد الوعى واستعاده فواصلت الدق . سمعته يغلق مصراعى النافذة ثم يتجه للباب فيفتحه . هذه المرة بدا راضيًا عن مجيئى وتعلق بمعطفى كما يتعلق طفل بأمه .

جعلنى أدخل وأجلس على مقعد وجلس على آخر ، وراح يهز رأسه لبعض الوقت كأنه يصغى . ثم اتجه إلى المنضدة وكتب مذكرة ناولها لى . كانت المذكرة تتوسل لى أن أبقى حيث أنا إلى أن يكتب بالألمانية تقريرًا كاملاً عن كل الغرائب والأهوال التى تحدق به .

انتظرت فراح قلمه يجرى على الورق .

ربما مرت ساعة وأنا جالس أنتظر ، بينما الموسيقار العجوز يكتب ورقة تلو أخرى .. من حين لآخر ينظر للستار والنافذة .. خيل لى إننى أسمع صوتًا بعيدًا أقرب إلى عازف فى بيت بعيد بالخارج . كان تأثير هذا على زان مخيفًا لأنه نهض وأمسك بالكمان وبدأ يعزف أعنف عزف سمعته منه .

من العسير أن أصف عزفه فى تلك الليلة ؛ لأننى كنت أرى وجهه وأدرك أنه يعزف من فرط الرعب . كان يحاول عمل جلبة كأنه يبعد شيئًا ما ... ازداد العزف جنونًا لكنه احتفظ بالعبقرية التى عرفتها فى كل ألحان هذا الرجل . ميزت الطابع العام .. إنها رقصة مجرية عنيفة معروفة فى المسارح وللمرة الأولى أسمع زان يعزف لحنًا لعازف آخر .

أعلى فأعلى .. أعنف فأعنف .. الكمان يصرخ . كان العازف يتصبب عرقًا وراح يتلوى كقرد . فى عنفه كنت أرى ظلالاً للساتير وعبدة باخوس يرقصون فى هوة عميقة وسط الدخان والبرق .

بدأ المصراع يهتز مع ريح الليل العاوية كأنه يتجاوب مع العزف المجنون . الكمان يبعث نغمات لا أصدق أن الكمان قادر على بعثها . راح المصراع يهتز بقوة ويضرب النافذة . ثم تهشم الزجاج فاندفعت الريح الباردة للداخل وطارت الأوراق على

المنضدة التى كان زان يكتب ذكرياته عليها . نظرت لزان فوجدت أنه تقريبًا غائب عن الوعى .. عيناه الزرقاوان جاحظتان زجاجيتان لا تريان ، والعزف صار طقسًا عربيدًا لا يستطيع قلم أن يصفه .

فجأة حمل الأوراق وهرع إلى النافذة وفى حسرة راقبت الأوراق تطير . هنا تذكرت رغبتى فى النظر من هذه النافذة . كان الظلام دامسًا لكن أضواء المدينة كانت تتوهج وتوقعت أن أراها وسط الريح والمطر .

لكن حينما نظرت من النافذة .. نظرت بينما الشموع تهتز والكمان المجنون يعوى بريح المساء . لم أر مدينة .. لا أضواء ولا شوارع .. فقط سواد فضاء بلا نهاية .. فضاء لا يشبه أى شىء على الأرض ..

وإذ وقفت أنظر فى رعب أطفأ الهواء ضوء الشموع تاركًا إياى واقفًا فى الظلام المتوحش الكثيف والجحيم أمامى . وجنون الكمان من خلفى .

تراجعت فى الظلام فاصطدمت بالمنضدة وأسقطت مقعدًا ..

لأنقذ نفسى وزان يجب أن أحاول مهما كانت القوى التى أجابهها .. يخيل لى إن شيئًا باردًا اصطدم بى فصرخت لكن صرختى لم تتغلب على صوت الكمان . وفجأة من الظلام ضربنى القوس المجنون .. عرفت أننى بقرب العازف ..

مددت يدى لمقعد زان وهززت كتفه . لم يستجب .. واستمر الكمان فى العواء ..

مددت يدى لرأسه لأوقف حركته الميكانيكية وصرخت فيه كى نفر معًا من رعب الظلام .. لكنه لم يرد ولم يخفف من جنون موسيقاه .

عندما لمست يدى أذنه ارتجفت .. لم أعرف السبب .. لم أعرف حتى لمست وجهه فأدركت أنه بارد كالثلج متصلب لا يتنفس . بمعجزة ما وجدت الباب والمزلاج فاندفعت فارًا من هذا الشىء زجاجى العينين فى الظلام .. من عواء هذا الكمان الملعون الذى يزداد جنونًا ..

جريت عبر الدرجات التى لا نهاية لها ، راكضًا نحو الشوارع الضيقة . ألهث عبر الجسر الأسود عابرًا إلى الشوارع الواسعة الصحية التى أعرفها . لم تكن هناك ريح .. كان القمر مكتملاً والمدينة كلها تتوهج بالضوء .

برغم بحثى المدقق لم أستطع قط أن أجد شارع (دوسيه) من حينها .. لكننى لست نادمًا على هذا ولا على فقدان تلك الأوراق التى كان بوسعها أن تفسر لى لغز موسيقا (إريك زان)(*).

(*) دخل تعبير (موسيقا إريك زان) الوجدان الجمعى الغربى ، لدرجة أن هناك عدة فرق تقدم موسيقا مجنونة واختارت لنفسها ذات الاسم . يمكنك تحميل فيلم عرائس ألمانى طريف قصير يحكى القصة ذاتها من الموقع :

http//gonzo.uni-weimar.de/%7Exusx2208/anna/trick/zann_diemusikdeserichzann.mov

العجوز المخيف

كانت تلك فكرة (أنجيلو ريتشى) و(جو تزانك) و(مانويل سيلفا) أن يزوروا العجوز المخيف . يعيش هذا العجوز وحيدًا فى بيت عتيق فى (ووتر ستريت) قرب البحر ، وهو مشهور بأنه ثرى وضعيف ، وهذا ما يشكل إغراء شديدًا لمن يمارسون المهنة التى يمارسها هؤلاء السادة . إن مهنة هؤلاء القوم ليست أكثر شرفًا من السرقة .

يقول سكان كنجزبورت ويعتقدون فى أشياء كثيرة بصدد العجوز المخيف .. أشياء تبقيه فى أمان من اهتمام السادة أمثال ريتشى ورفاقه ، وبرغم أن الكل كان موقنًا أنه يخفى كنزًا عظيم القيمة فى مسكنه البالى المرعب .

الواقع أنه رجل غريب الأطوار ويقال إنه كان قبطانًا لسفينة شراعية سريعة خاصة بشركة الهند الشرقية ، وهو مسن بحيث لا يذكر أحد أنه كان شابًا ، صموت بحيث لا يعرف أحد اسمه .

فى فناء داره تجد مجموعة غريبة من الحجارة العملاقة مرتبة ومطلية بشكل غريب ، حتى تشبه أصنام المعابد الشرقية . هذه المجموعة تثير رعب الصبية الذين يضايقون العجوز أو يهوون تحطيم نوافذ داره بقذائفهم . هناك أشياء أخرى تخيف الأكبر سنًا الذين يختلسون البصر عبر النوافذ .

يقول هؤلاء إن هناك منضدة عليها زجاجات كثيرة .. تتدلى فيها قطعة رصاص كالبندول من خيط . يقولون إن الرجل يكلم هذه الزجاجات ويطلق عليها اسماء مثل (جاك) و(الوجه ذو الندبة) و(توم الطويل) و(جو الأسبانى) و(بيترز) و(الرفيق اليس) . قالوا إنه إذ يكلم الزجاجات يهتز الخيط كأنه يجيب .

لم يكن (أنجيلو ريتشى) و(جو تزانك) و(مانويل سيلفا) يمتون بصلة لدماء نيو إنجلند بل كانوا دماء جديدة وافدة .. وقد رأوا أن الرجل العجوز مقعد تقريبًا لا يمشى من دون عصاه، ويداه ترتجفان بشكل مثير للشفقة . بالفعل شعروا بنوع من الأسف وهم يقصدون دار العجوز الذى تعوى الكلاب عندما تراه . لكن العمل هو العمل .. هناك إغراء شديد لدى أى لص فى رجل عجوز واهن بلا حساب فى المصرف، ويدفع ما عليه من مال فى المتجر بنقود إسبانية ذهبية صكت منذ قرنين .

اختار السادة (أنجيلو ريتشى) و(جو تزانك) و(مانويل سيلفا) ليلة 11 إبريل للزيارة . كان على (ريتشى) و(سيلفا) إجراء المقابلة مع العجوز بينما السيد (تزانك) ينتظرهما بسيارة فى شيب ستريت عند الباب الخلفى لدار مضيفهما . فلم يكن أحدهم يرغب فى لقاء غير ضرورى وغير متوقع مع الشرطة .

تحرك السـادة منفصلين كى يمنعوا أيـة شكوك شريرة بصدد نواياهم . التقى ريتشى وسيلفا فى ووتـر ستريت عند باب العجوز الأمامى . لم يحبا كثيرًا ضـوء القمر الساطع على الصخور لكن كانت لديهما أشياء أهم . كانا يعرفان أنه من الصعب جعل الرجل يتكلم عن ذهبه المخبأ لأن القباطنة المسنين أميل للعناد والتكتم . لكنه كان مسنًا واهنًا وهما اثنـان . والسيدان متمرسـان فى فن جعل الأشخاص ثرثارين ، ومن السهل أن تكتم صرخات رجل ضعيف عجوز . مشيا نحو النافذة وأصغيا للرجل وهو يكلم إحدى زجاجاته .

ثبتا الأقنعة ودقا على الباب البلوط فى أدب .

بدا الانتظار أطول من الـلازم بالنسبة لمستر تزانك وهو يعبث فى السيارة التى تقف عند باب السيد العجوز الخلفى . كان رقيق القلب نوعًا ولم يحـب الصرخـات المريعـة التـى دوت فـى المنزل المهجور عندما حان وقت العملية . ألم يطلب من رفيقيـه أن يكونـا رقيقين قدر الإمكان مع القبطان العجوز ؟

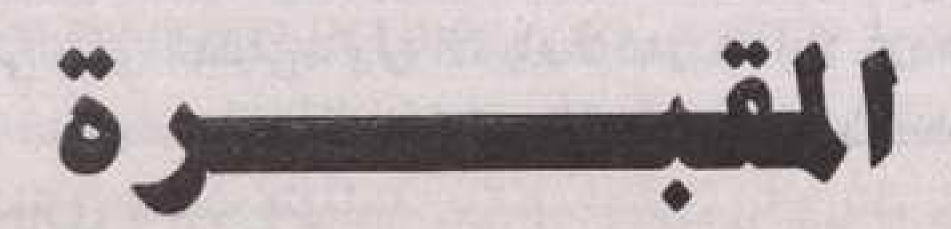
راح يراقب البوابة المصنوعة من خشب البلـوط وسط الجدار الصخرى . أحيانا كان ينظر لساعته متسائلا عن سبب التـأخير . هل مات العجوز قبل أن يكشف عن مكان الكنز ؟

لم يحب الانتظار طويلاً فى الظلام .. هنا سمع صوت طرقـات داخل البوابة وسمع من يعبـث فـى المـزلاج الصدئ برفـق . ثـم رأى الباب الثقيل ينفتح .

ضيق عينيه ليرى ما جلبه زميلاه من ذلك البيت الشقى ، لكنه حين دقق النظر لم ير ما انتظره .. لم يكن زميلاه هناك . فقط العجوز المخيف يتوكأ على عصاه ويبتسم فى شر . لم يكن قد لاحظ لون عينى الرجل من قبل ، وقد أدرك الآن أنهما صفراوان .

إن الأمور البسيطة تحدث إثارة عظمى فى المدن الصغيرة ، ولهذا راح القوم يتكلمون طيلة الربيع والصيف عن الأجساد الثلاثة مجهولة الهوية والممزقة بالسيوف ، والتى هشمتها مئات الأحذية ذات الرقبة ، والتى ألقى بها المد على الشط ..

تكلم الناس عن أشياء صغيرة مثل سيارة مهجورة فى شيب ستريت ، وصرخات غير آدمية كأنها صدرت عن طيور بحرية ، والتى سمعها بعض الناس ليلاً . لكن لم يتكلم أحد قط عن الحادث مع الرجل العجوز المخيف . كان بطبعه متحفظًا وعندما يشيب المرء ويضعف فإن تحفظه يزداد . كما أن قبطانًا عجوزًا كهذا لابد وأنه رأى أشياء أكثر بشاعة فى شبابه الذى لم يعد يتذكره .


المقبرة

عندما أحكى الظروف التى قادتنى للاحتجاز فى ملجأ المجانين هذا ، فإننى أفهم أن وضعى الحـالى سوف يجعل الناس يشكون فى صحة قصتى .

إنها لحقيقـة تعسـة أن أكثر البشر محدودو البصيرة العقليـة بحيث لا يمكنهم الحكم على هذه الظواهر بصبر وذكاء . الظواهر التى لا تراها وتشعر بها إلا القلة مـن مفرطى الحساسية النفسية . الرجـال الأكثر ثقافـة يعرفـون أنـه لا يوجد فـاصل واضـح بيـن الحقيقى وغير الحقيقى ، وأن الأشياء لا تبدو هكذا إلا عن طريق وعينا .. لكن مادية الأغلبيـة تعتبر تلك الوهجات مـن البصيرة التى تخترق الحجب جنونًا .

اسمى (جيرفاس دودلـى) .. كنت حالمًا وصاحب رؤى منذ طفولتى . كنت ثريًا أكثر من حـاجتى ولـم أكن ذا مزاج يسـمح بالدراسة النظامية والاندماج فى الحياة الاجتماعية .

قد أمضيت صباى ومراهقتى مع كتب قديمة شبه مجهولة وأنا أجوب الحقول قرب مسكنى . يخيل لى أننى لم أر أو أقرأ فى تلك الكتب ما كان أقرانى يرون ويقرءون . لكن على ألا أصرح أكثر لأن الكلام الصريح قـد يعيد الشك فـى قـواى العقليـة كمـا أسمع رفاقى . يكفينى أن أقص الأحداث ولا أحاول تفسيرها .

قلت إنى عشت بعيدًا عن العـالم المرئـى ، لكن لـم أقل إننـى عشت وحدى .. لا بشرى يقدر على هذا ..

جـوار بيتى يوجد واد مشجر اعتدت أن أمضى أكثر وقتى فى ظلماتـه ، أفكر وأحلم . علـى منحدراتـه مشيت خطواتـى الأولـى طفلاً ونسـجت أحلام صبـاى . رأيت حوريات الأشجار وراقبت رقصهن المحموم تحت أشعة القمر الخافتة . لكـن لـن أتكلم عن هذا الآن بل عن القبر المتوحد فى ظلمـات الأشـجار ، وهو قبر (هيدز) المهجور ، أسرة قديمة عريقـة غـاب آخـر أحفادهـا فـى هذه الظلام قبل مولدى بعقود .

القبر الذى أتكلم عنـه من جرانيت قديم زال لونه بفعل الأبخرة والرطوبة عبر أجيال . حفر فى جانب الجبل بحيث لا تراه إلا من المدخـل . البـاب قطعـة حجر تتصل بمفصلات صدئـة وقد أبقى نصف مفتوح فى موضعه بجنازير حديدية ضخمة كما هى العـادة المريعة منذ نصف قرن . هناك عاصفة دمرت قمة هذا الضريح منذ عقود ، ولهذا يتكلم النـاس فى هيبة عن (غضبة السماء) .. مما أثار فضولى ولهفتى لمعرفة هذا المكان .

حينما دفن آخر آل (هيدز) هنـا جاءت بقاياه من مكان بعيـد ، فلم يبق من يضع أزهارًا على القبر ولا يجسر أحد على اجتياز الظـلال التى تحيط بهذه الصخور . لن أنسى عصر ذلك اليوم الـذى وجدت فيه بيت الموت هذا . كان هذا فى منتصف الصيف عندما تتحـول الغابـات إلـى كتلـة متجانسـة حيـة مـن اللـون الأخضـر . فـى هـذا المناخ يفقد العقل معاييره ويصير المكان والزمان بلا معنى .

كنت أمضى يومى فى رياض الوادى الغامضة ، وأتحاور مع أشياء لم أذكر اسمها . وكنت أمشى بين صفين من الأشجار عندما وجدت نفسى أمام باب القبو . لم أعرف ما وجدته .. كانت هناك مساحات من الجرانيت ونقوش جنائزية فوق القوس . لكنى لم أشعر بأى خوف أو توجس وأنا أرمق هذا المدخل بل الفضول فقط . ثمة نداء خفى جعلنى أود أن أجتاز هذا المدخل برغم الجنازير التى تغلقه . حاولت أن أحشر جسدى عبر التجويف لكن لم أنجح . وأقسمت وأنا عائد لدارى أننى سأجد طريقة لاجتياز المدخل إلى الظلمات التى تدعونى لها . إن الطبيب ذا اللحية الرمادية الذى يتردد على غرفتى يوميًا ، قال للزوار إن هذا القرار يعكس جنونًا أحاديًا قاسيًا لكنى سأترك القرار النهائى لقرائى .

فى الفترة التالية رحت أحاول أن أجتاز هذا المدخل وإن لم أخبر أحدًا بنواياى . لم يدهشنى أن أعرف طبيعة اكتشافى برغم أننى كنت طفلاً .

لقد كنت أقف أمام هذا الباب عدة ساعات كل يوم . أرى شيئًا يبدو كدرجات رطبة تقود لأسفل وكانت رائحة المكان تنفرنى لكنها تسحرنى . شعرت بأننى أعرفه من قبل فى زمن سحيق ..

عامًا بعد عام كنت أرمق القبر ، وفى هذا الوقت قرأت أسطورة (ثيذيوس) وعن الحجر العملاق الذى تحته كان البطل

الطفل سيجد قدره لو أنه استطاع أن يرفع الحجر . هذا جعل صبرى يهدأ فقلت لنفسى إننى سأنتظر حتى أكتسب قوة وعبقرية تجعلاننى أفتح الباب بسهولة .

ازدادت الفكرة إغراء بعد ما عرفت أن هناك صلة قرابة بعيدة واهية بين أمى وتلك الأسرة المنقرضة . بما أننى آخر نسل أسرتى فهذا يعنى أننى آخر من يحمل دم هذه الأسرة المنقرضة . بدأت أشعر كأن القبر قبرى .. بدأت أحلم بالمرور عبر هذه الدرجات الزلقة فى الظلام . وصنعت تعريشة من الأشجار فوق المكان .. وصار هذا المكان مكانى والباب المغلق بابى .. هنا سأمضى الدهر راقدًا أحلم بأحلام غريبة .

كانت أولى ليالى الرؤيا حارة رطبة . لابد أننى غفوت من التعب لأننى كنت شبه متيقظ عندما سمعت الأصوات . أخشى أن أتكلم عن الأصوات واللهجات .. لن أتكلم عن نوعيتها لكنها كانت غريبة فى المصطلحات والهجاء والنطق .. بدا لى كأننى أسمع هنا كل لهجة عرفتها (نيو إنجلند) منذ عصور المستعمرين البيوريتانيين حتى اللغة السائدة منذ خمسين عامًا .

هنا لاحظت ظاهرة غريبة أخرى .. ظاهرة فريدة بحيث لا أعرف كيف أصفها .. خيل لى عندما نهضت أن ضوءًا كان فى الضريح وقد أطفأه أحدهم بسرعة .. لا أحسب الذعر غلبنى لكنى

أيقنت أننى تغيرت كثيرًا فى تلك الليلة . عندما عدت لدارى اتجهت للصندوق العتيق فى العلية حيث وجدت المفتاح .. المفتاح الذى استطعت به فى اليوم التالى فتح الحاجز الذى حاولت اجتيازه طويلاً بلا جدوى .

كنت فى ضوء العصر الناعم عندما دخلت القبو المنسى . كنت مسحورًا وقلبى يدق بقوة .. أغلقت الباب خلفى ونزلت فى الدرج على ضوء شمعتى الوحيدة ، وخيل لى أننى أعرف الطريق . وبرغم أن الشمعة راحت تفرقع بفعل أبخرة المكان الكريهة ، فقد شعرت بأننى فى دارى . من حولى كانت هناك ألواح عليها توابيت أو بقايا توابيت . بعضها كان مغلقًا وسليمًا وبعضها كاد يتلاشى .. تساقطت المقابض الفضية وسط التراب ..

على لوحة رأيت اسم السير (جيفرى هايد) الذى جاء من (سوسكس) عام 1640 ومات هنا بعد أعوام قليلة . ورأيت تابوتًا خاليًا مفتوحًا بلا ساكن قرأت الاسم المكتوب عليه فجعلنى أشعر بمزيج من رعب وطرافة ، ولسبب لا أفهمه وجدت نفسى أتمدد فى هذا التابوت .

فى ضوء الفجر غادرت القبو وأغلقت السلسلة خلفى .. لم أعد شابًا برغم أن 21 شتاء لا أكثر قد جمدت جسدى ، وكان الفلاحون المبكرون ينظرون لى فى دهشة . لم أظهر أمام أهلى إلا بعد نوم طويل منعش .

رحت أتسلق القبر كل ليلة لأرى وأسمع وأفعل أشياء لا أذكرها .. كان كلامى أول ما بدأت تطرأ عليه التغيرات الجديدة .. وقد لاحظ الكثيرون كيف صارت لغتى عتيقة تستعمل كلمات منسية . ثم بدأ نوع من التهور والجرأة يطغى على سلوكى . أظهرت معرفة واسعة ليست كتلك الرهبنة التى عشتها فى شبابى . ورحت أكسو الصفحات الخالية فى بدايات ونهايات كتبى بأفكار بارعة لها طابع القرن الثامن عشر الأدبى .

ذات صباح على الإفطار كدت أسبب كارثة إذ رحت أتكلم بمرح باخوسى الطابع من القرن الثامن عشر .. قلت شيئًا كهذا :

هلموا يا رفاق ومعكم أباريق الجعة

واشربوا للحاضر قبل أن يولى

كوموا اللحم فى الصحاف

فالراحة لا يجلبها إلا الطعام والراح ..

افعموا الأقداح ..

قبل أن يفنى الصباح

عندما تفنون ، لن تشربوا فى صحة مليككم ولا حسنائكم ..

(أناكريون) كان أنفه أحمر

كذا يزعمون ..

لكن ما الأنف الأحمر وأنت سعيد مفتون ؟

أفضل أن أكون أحمر وأبقى بينكم

على أن أكون أبيض كالسوسن وميتًا

فترفقى يا حسناء

اضحكوا !

فتحت ستة أقدام من التراب لن يكون الضحك سهلاً ..

فى هذا الوقت اكتسبت الخوف مـن الرعود والعواصف .. لم أكن أبالى بهذه من قبل لكننى صرت أتوارى فى ركن قصى من البيت متى قررت السماء ممارسة ألعابها الكهربية . كنت أتخيل ذلك البيت الذى احترق وكيف كان فى عظمته قبل العاصفة .

فى النهاية جاءت اللحظة التـى خفت منها طويلاً . لقد ذعر أبواى لاختفاء ابنهما المتكرر وبدأا يتجسسان على مما كـاد يسبب كارثة . لم أحـك لأحد عن زياراتى للمقبرة ، وقد أبقيت سرى منذ الصبا ، لكنى الآن صـرت مجبرًا على أن أكون حذرًا أثناء مشيى فى الغابة حتى لا أترك أى أثر يدل على .

كنت أبقى المفتاح معلقًا إلى صدرى بخيط . ولم آخذ معى أى شىء وجدته بين جدران الضريح .

ذات صباح غادرت المقبرة ووضعت السلسلة ويدى ترتجف ، هنا وجدت من يراقبنى بين الأشجار .

لقد دنت النهاية وعرفوا مكان تكعيبتى وعرفوا سبب جولاتى الليلة .

لم يبادرنى بالكلام ، لذا هرعت للبيت كى أسبق بمعرفة ما سيقوله هذا الرجل لأبى المرهق القلق . هل سيعرف العالم كله قصة تسللى للمقبرة ؟.. تصور دهشتى حينما أسمع الجاسوس يخبر والدى همسًا حذرًا أننى قضيت الليل جوار باب المقبرة ، وعيناى اللتان غلفهما النعاس لا تبرحان المدخل الموارب ..

بأية معجزة تم تضليل هذا المراقب ؟..

صرت الآن مقتنعًا بأن قوة خارقة للطبيعة قد حمتنى ، وأكسبنى هذا الخاطر جرأة وبدأت أستعيد شجاعتى وأعود للقبو شاعرًا بأن أحدًا لن يرانى .

ظللت لأسبوع غارقًا فى تلك المتعة عندما حدث الشىء ..

وهكذا كتب على أن أنتقل لعالم من الأسف والرتابة ..

ما كان يجب أن أجرب فى تلك الليلة ؛ لأن الرعد كان بين السحب وهناك تألق فوسفورى شيطانى ينبعث من المستنقع فى أعماق الغابة . كذا كان نداء الموتى مختلفًا .

عندما خرجت من الغابة قرب الخرائب رأيت في ضوء القمر الضبابى شيئًا توقعته دومًا بشكل غامض . البيت الذى رحل منذ قرن قد عاد ينتصب أمام الأنظار . كل نافذة تتألق بضوء شموع عدة ، وعلى الطريق تندفع عربات أرستقراطية بوسطن ، بينما امتلأ المدخل بسادة المجتمع الراقى .

وسط هذا الزحام اختلطت برغم معرفتى أننى أنتمى للمضيفين لا الضيوف . داخل قاعة البيت كانت موسيقا وضحك وخمر فى كل يد . عرفت بعض الوجوه برغم أننى أعرفها أكثر وقد أبلاها الموت . كنت أنـا الأكثر جنونًا والأكثر عزلة .. مرح مجنون راح ينصب فى عروقى ..

فجأة دوى الرعد ... أعلى من صوت العربدة ذاتها .. ضرب السطح وألقى بالذعر فى قلوب الجمع الصاخب .

وخرجت ألسنة حمر من اللهب وهبـات حـارة من النار لتلتهم البيت واندلعت الصرخات .. وهرب الجميع ليغيبوا فى الظلام . أنا وحدى بقيت .. مقيدًا لمقعدى بخوف لا فرار منه ..

ثم استولى رعب جديد على عقلى .. لو احترقت وصرت رمادًا فلن أرقد أبدًا فى قبر آل (هايد) .. أليس تابوتى معدًا لى ؟.. أليس من

حقى أن أستريح بين سلالة سير (جيفرى هايد) ؟.. إن اسمى هو (جيرفاس هايد) ولسوف أطالب بحقى فى الدفن هنا ..

عندما غاب شبح البيت المحترق ، وجدت نفسى أصرخ بين ذراعى رجلين أحدهما كان الجاسوس الذى تبعنى للقبر .. كان المطر ينهمر مدرارًا وفى الأفق الجنوبى يلتمع البرق .

كان أبى وقد غمر الأسف وجهه يقف بينما أنا أصرخ مطالبًا بحقى فى الدفن هنا ، وكان يطالب من يمسكون بى بأن يرفقوا بى قدر استطاعتهم ..

كان هناك حشد من القرويين الفضوليين يحملون المصابيح ويحيطون بصندوق عتيق بدا واضحًا فى ضوء البرق . توقفت عن المقاومة العنيفة وراقبت المشاهدين وهم يفتحون الصندوق . كانت ضربة البرق قد دمرت أقفاله فوجدناه مليئًا بالأوراق وأشياء ثمينة لكننى كنت أبحث عن شىء بعينه . كان تمثالاً صغيرًا من الخزف لشاب يلبس جمة أنيقة ، وعليه الحروف (ج . هـ) .. وعندما رأيت وجهه بدا لى أننى أنظر فى المرآة ..

فى اليوم التالى أحضرونى لهذه الغرفة ذات القضبان على النوافذ ، وأخبرنى خادم بسيط عجوز كنت أحبه فى طفولتى بأشياء معينة . أما ما جرؤت على أن أحكيه عن تجاربى فى القبر فقد جلب ابتسامات الشفقة لا أكثر .

قال أبى الذى يزورنى بانتظام إننى لم أجتز الجنزير على الباب قط ، وأقسم أن القفل الصدئ لم يمس منذ خمسين عامًا . قال إن الفلاحين يعرفون بأمر رحلاتى للمقبرة وقد رآنى كثيرون نائمًا فى التكعيبة ..

لم يكن عندى ما يقال هنا لأن مفتاحى قد فقد فى صراع الليل . وقد أصر أبى على أن ما عرفته فى تلك اللقاءات الليلية ليس سوى ثمار قراءاتى فى مكتبة أسرتنا .

لولا خادمى العجوز حيرام لاقتنعت كلية بأننى مجنون ، لكن حيرام المخلص للنهاية كان يثق بى وفعل الشىء الذى جعلنى أكتب هذه القصة للملأ ..

منذ أسبوع فتح القفل الذى يغلق المقبرة ونزل بمصباح إلى تلك الأعماق ، وعلى لوح حجرى وجد تابوتًا مفتوحًا خاليًا عليه كلمة (جيرفاس) .

فى هذا التابوت وفى هذا القبو سوف أدفن كما وعدونى بالضبط ..

حقائق تتعلق بالفقيد أرثر جرمين وأسرته (*)

(*) اضطرت مجلة (حكايات غريبة) لتغيير هذا الاسم الطويل إلى (القرد الأبيض) ، مما أثار غيظ لافكرافت .. لم يعد الاسم الأصلي إلا بعد أعوام من وفاته .

- 1 -

إن الحياة شىء مروع ، فمن خلـف العوالـم التـى نعرفها تطل لمحات شيطانية من الحقيقة التى تجعلها أكثر ترويعًا ألف مرة ..

لربما لو عرفنا من نحن ، لفعلنـا كمـا فعل سير (أرثر جيرمين) الذى أغرق نفسه بالبترول ، وأشعل النار فى ثيابه ذات ليلة . لـم يضع أحد البقايا المتفحمة فى إناء أو خلد ذكراه ، لأن بعض الأوراق التى تركها جعلت الناس يفضلون أن ينسوه .. بعض من عرفـوه ينكرون أنه وجد أصلاً .

أحرق (جيرمين) نفسـه بعد مـا رأى الشـىء فـى الصـندوق الذى جاء من أفريقيا ، وكان هذا الشىء وليس مظهره الشخصى هو ما جعله ينهى حياته . قليلون كانوا سيرغبون فى الحياة لو كانت لهم ملامح (أرثر جيرمين) ، لكنه كان شاعرًا ومثقفًا ولـم يكن يبالى بمظهره .

كان العلم فى دمه لأن جده الكبير سير روبرت جيرمين كان عالم أنثروبولوجي مرموقًا بينما جد جده سير (ويد جيرمين) كان من مكتشفى الكونغو الأوائل وكتب الكثير عن قبائلهـا . وكـانت لـه نظريات غريبة عن سكان الكونغو بيض البشرة من قبل التـاريخ مما جعل الكثيرين يسخرون من كتابه .. وفى العام 1765 وضعوا هذا المستكشف الشجاع فى مستشفى أمراض عقلية .

كان الجنون موجوداً فى سلالة (جيرمين) كلها وقد سر الناس لأنه ليس هناك كثيرون منهم . كان آرثر هو الأخير ، ولم يكن مظهرهم مريحاً .. ثمة شىء خطأ فى ملامحهم لكن آرثر كان أسوأهم ..

من الواضح أن الجنون بدأ مع سير (ويد) لأن ملامح من سبقوه من أجداد كانت وسيمة رقيقة . كما أن مجموعته من التذكارات ليست مما يمكن أن يجمعه رجل طبيعى . كانت زوجته ابنة تاجر برتغالى قابله فى أفريقيا ولم يكن يحب الحياة البريطانية . رافقته مع رضيعها الذى ولد فى أفريقيا فى رحلته الثالثة والرابعة لكنها لم تعد قط . كانت تقيم منفردة فى جناح خاص فى دار (جيرمين) ولم يكن يخدمها سوى زوجها نفسه . يبدو أن الرجل كان متحفظاً بصدد أسرته لأنه إذ عاد لأفريقيا لم يترك أحداً يعنى بابنه سوى امرأة سوداء عجوز قبيحة من غينيا .

لكن كان كلام سير (ويد) هو ما أقنع أصحابه بأنه مجنون .. فى عصر العقل الذى هو القرن الثامن عشر ، كان من الحمق أن يتكلم المرء عن رؤى مجنونة ومشاهد غريبة تحت قمر الكونغو . عن أعمدة مدينة منسية غطتها الأشجار وعن درجات تقود لأقبية مظلمة . عن مخلوقات غريبة تعيش هناك .. مخلوقات ظلت حية بعد ما دمرت القردة العظمى المدينة ..

بعد عودته آخر مرة راح سير (ويد) يتكلـم عن هذه الأمـور بحماس مجنون خاصة بعد الكأس الثالثة فى حانـة (رأس الفارس) ويحكى عن معيشته فى الغابة فى أماكن لا يعرفها سواه . فى النهاية وجد نفسه فى مستشفى المجانين . لم يبد ندمًا ..

كان ابنه قد كبر وبدأ يمقت بيته ، حتى جاءت اللحظة التى بـدأ يخافه فيها .. وعاش فى حانة (رأس الفارس) بالكامل ، وبعد ثلاثة أعوام مات .

برغم أن (فيليب) حفيد (ويد جيرمين) كان يشبه جده إلا أن منظره وطباعه كانت للفظاظة أقرب لدرجـة أن النـاس اجتنبوه . لـم يرث الجنون لكن غباءه كـان مطبقًا وأحيانًا كـان يغضـب غضبات مريعة . كان صغير الحجم لكنه قوى جدًّا ..

بعد 12 عامًا من وراثة لقب لورد تزوج ابنة مدير عزبته وهى من أصل غجرى وقبل أن يولد ابنه التحـق بالبحريـة كبحـار عـادى . وإذ دنت الحرب الأمريكية من نهايتها عرف الناس أنه بحار على سفينة تجاريـة عند سـواحل أفريقيـا ، واختفـى ذات ليلـة عندمـا رست سفينته على ساحل الكونغو .

بدأت تلك الخاصية الأسرية الغريبـة تظهر بشكل مختلف مع ابن سير (فيليب جرمين) . كان فارع القامـة وسيمًا فيه شـىء

من المهلبة الشرقية الغربية . بدأ (روبرت جرمين) حياته كدارس وباحث وكان أول من درس التركة الغربية التى تركها جده ..

عام 1815 تزوج فتاة من أسرة الفيسكونت (برايتهولم) ورزق بثلاثة أطفال لم ير أحد أكبرهم ولا أصغرهم علنًا بسبب تشوه عقلى وجسدى . حزينًا راح العالم يبحث عن الراحة فى العمل وقام برحلتين فى أفريقيا .. فى العام 1849 فر ابنه (نيفل) وهو فتى متمرد يجمع بين فظاظة جيرمين وعجرفة آل برايتهولم مع راقصة سوقية . لما عاد فى العام التالى تلقى الصفح .. لقد عاد أرمل ومعه ابن هو (ألفريد) الذى سيصير والد (أرثر جيرمين) يومًا ما .

قال الناس إن هذه المصائب هى التى أطارت عقل (روبرت جرمين) ، لكن ربما كانت بعض الأساطير الأفريقية هى سبب الكارثة . كان الباحث يجمع أساطير قبائل أونجا قرب مناطق بحث جده ، وهو يأمل أن يجد ما يثبت كلام جده عن مدينة مفقودة تعيش فيها كائنات عجيبة .

فى أكتوبر عام 1852 زار المستكشف (صمويل سيتون) منزل جيرمين ومعه أوراق جمعها من الأوجا .. كانت هناك خرافات عن مدينة رمادية تعيش بها قردة بيضاء ويحكمها إله أبيض . يبدو أنه ذكر بعض التفاصيل التى لن نعرفها أبدًا .. لكن كوارث مرعبة بدأت تحدث ...

حينما غادر سير (روبرت جيرمين) المكتب ترك خلفه المستكشف مخنوقًا، وقبل أن يقبض عليه أنهى بنفسه حياة أولاده الثلاثـة. مات (نيفل) وهو يحاول حماية ابنه (ألفريد) ذى العامين، ونجح فى ذلك ...

حاول سير (روبرت) الانتحار عدة مرات، وأصر بعنـاد على ألا ينطق كلمة ذات معنى، ثم مات بعد عام بنزف مخى فى سجنه.

صار سير ألفريد بارونًا عندمـا بلغ الرابعة من العمر، لكن ميوله لم تكن جديرةً بهذا اللقب. فى سن العشرين التحق بفرقـة عازفين، وفى سن السادسة والثلاثين هجر أسرته وسـافر مع سيرك جوال. كانت نهايته بشعة لأنه بين الحيوانات التى كـانت معه كانت غوريلا ضخمة فاتحة اللون افتتن بها وكانت شهرتها عظيمة فى السـيرك. فـى النهايـة طلب أن يسمحوا لـه بتدريب الحيوان وقد أدهش المشاهدين وزملاءه بنجاحه.

ذات صباح فى شيكاغو كان يجرى بروفة معها على مباراة ملاكمة بارعة، وجهت له لكمة أقوى من المعتاد فآذت جسده وكرامته. أما ما حدث بعد هذا فيفضل عاملو السيرك ألا يحكوه. لم يتوقعوا أن يسمعوا الرجل يطلق صرخة غير بشرية .. يمسك خصمـه بيديـه ويوقعه على أرض القفص وينشب أسنانه فـى حلقـه. سقطت الغوريلا لكن ليس طويـلاً .. وقبـل أن يعمل أحد أى شـىء كـان جسد المدرب قد صار عجينًا.

- 2 -

كان آرثر جيرمين هو ابن ألفريد جيرمين .. وكان مطربًا في المسرح . عندما فر الأب أخذت الأم طفلها إلى منزل (جيرمين) حيث لم يعد هناك من يعترض على وجودها ..

قررت أن تربى ابنها تربيةً قويمةً على قدر ما يسمح به ما معها من مال . كانت موارد الأسرة محدودةً تمامًا الآن ، لكن آرثر الصغير أحب البيت وما فيه . كان يختلف عن أسلافه في أنه كان شاعرًا وحالمًا . وقال الجيران الذين سمعوا عن زوجة (ويد جيرمين) إن دمها البرتغالى قد أفصح عن نفسه في هذا الفتى . لكن كثيرين سخروا من حبه للجمال وقالوا إن السبب هو أمه التى كانت مجهولةً فى المجتمع .

كانت شاعريته أكثر وضوحًا بسبب مظهره .. لقد كان معظم آل (جرمين) لهم مظهر منفر لكن وجه (آرثر) كان صادمًا ... من الصعب أن تصف كيف يبدو ، كما أن طول ذراعيه كان يثير نفور من يقابله لأول مرة .

كان موهوبًا فنال أعلى الدرجات فى أكسفورد ويدا أنه جدير بسمعة أسرته .. برغم أنه كان شاعرًا أكثر منه عالمًا فإنه قرر أن يواصل عمل أجداده . وكان يشعر بمزيج غريب من رهبة وشغف كلما سمع عما وجده جده .

عام 1911 بعد موت أمه قرر سير (أرثر جيرمين) أن يستكمل أبحاثه . باع جزءًا من ضيعته للحصول على المال ورتب حملـة إلى الكونغو . رتب مع السلطات البلجيكية طلبًا لأدلـة وأمضـى عامًا فى بلاد الأونجا ووجد معلومات مهمة جدًا .

بين قبائل الكاليريس كان هناك زعيم شيخ يدعى (موانو) لم يحظ فقط بذاكـرة قويـة ، بـل درجـة عاليـة مـن الذكـاء والاهتمام بالأساطير القديمة . وقد أكد له صحة كل أسطورة سمعها .. أكد لـه وجود المدينة الحجرية والقردة .

حسب كلام موانو قد زالت المدينة والقردة فقد دمرها النبـانجوس منذ أعوام . وبعد هذا الغزو حمـل أفـراد القبيلـة معبـودة المدينـة المحنطة التى كـانت هـدف غزوتهم . تلـك المعبـودة هـى القـردة البيضاء التى عبدتها مسوخ المدينة والتى كانت أميرتهم يومًا ما .

لم يعرف موانو كنه تلك القردة البيضاء لكنه يعتقد أنهم بنـاة المدينة العتيقة ..

الأميرة القردة كانت زوجة إله أبيض كبـير جـاء مـن الغـرب . حكما المدينة لفتـرة طويلة لكن عنـدما رزقا بابن رحل ثلاثتهم . فيما بعـد عـاد الإلـه والأمـيرة .. ثـم مـاتت الأخـيرة فقـام زوجهـا بتحنيطها ووضع موميـاءها فى بيت حجرى كبير حيث كان يُعبد . ثم رحل وحده .

هنا توجد ثلاث تكملات للأسطورة ..

الأولى تقول إن شيئًا لم يحدث بعد هذا سوى أن المومياء صارت رمزًا لرفعة وقوة كل قبيلة تملكها . لهذا اختطفها أفراد قبيلة النبانجوس .

القصة الثانية تحكى عن عودة الأبيض والموت عند قدمى زوجته .

القصة الثالثة تحكى عن عودة الابن الذى صار رجلاً لكنه لا يعرف حقيقته ..

صار (أرثر) على يقين من قصة المدينة كما حكاها أبوه .. لقد وجد بقاياها وقدر أن الأساطير بالغت فى وصف مساحتها ، لكن ما تبقى من حجارة يدل على أنها لم تكن مجرد قرية أفريقية .. لم يجد نقوشًا أو كتابة وكان صغر حجم الحملة لا يسمح بعمل حفريات . تكلم مع كل زعماء المنطقة عن القردة البيض والربة المحنطة ، لكن وقع على عاتق أوروبى أن يفسر المعلومات أكثر . كان هناك (فيرهيرن) وهو عميل بلجيكى لإحدى الشركات التجارية فى الكونغو ، وكان يعتقد أنه ليس قادرًا على العثور على المومياء فحسب بل الحصول عليها كذلك .

إن قبائل النبانجوس القوية لم تعد سوى رعايا حكومة الملك ألبرت ، ويمكن إقناعهم بالتخلى عن معبودتهم هذه . لهذا عندما عاد أرثر جيرمين إلى إنجلترا كان مؤمنا أنه على عتبة كشف عرقى مهم لا يقيم بمال .

كان الريفيون قرب دار (جيرمين) يعرفون قصصًا غريبة من التى حكاها سير (ويد) قديمًا فى حانة (رأس الفارس)، وقد قضى (أرثر) وقته يسمع هذه القصص وينتظر ذلك الصندوق الذى سيشحنه له (فيرهيرن) من الكونغو ..

راح يقترب أكثر فأكثر من حياة جده المجنون سير (ويد) وراح يسمع المزيد . كانت زوجة الرجل متوارية أكثر الوقت كما عرف، وقد تساءل عن سبب هذه العزلة ثم قدر أن السبب هو جنون سير (ويد) . لابد أن المرأة التى كانت ابنة تاجر برتغالى كانت تعرف معلومات سطحية عن قلب أفريقيا، وهذا جعلها تسخر من كلام سير (ويد) مما جعل الرجل عاجزًا عن أن يغفر لها . لا جدوى من هذه الاستنتاجات بعد قرن ونصف من موت جده وزوجته .

فى يونيو 1913 وصل خطاب من (فيرهيرن) يقول إنه وجد المومياء .

قال البلجيكى إنه كشف خارق للعادة .. كشف لا يستطيع رجل الشارع أن يصفه .. ليس بوسع أحد أن يعرف إن كان هذا قردًا أم بشرًا إلا من كان عالمًا، وعملية الفحص ذاتها ستكون عسيرة بسبب حالة المومياء المتدهورة .

إن الزمن ومناخ الكونغو ليسا مما يرفق بالمومياوات .. خاصة لو كان تحنيطها عمل هواة كما هو الحال هنا . حول عنق

المخلوق هناك سلسلة ذهبية عليها نقوش شعار نبالة ، ومن الواضح أنها كانت تخص رحالة تعسًا أخذها منه النباتجوس وعلقوها حول عنق المومياء .

سوف تصل المومياء بعد شهر من تلقى الخطاب . ووصل الشىء فى الصندوق إلى دار جيرمين عصر يوم 3 أغسطس حيث نقلت للغرفة التى حفظت فيها الآثار الأفريقية .

ما حدث بعد هذا يمكن معرفته من حكايات الخدم والأوراق التى وجدوها .

من ضمن القصص هناك قصة كبير الخدم العجوز (سومس) وهى أفضلها وأكثرها تماسكًا . حسب قصة هذا الرجل الموثوق فيه ، فقد انفرد سير (أرثر) بالمومياء قبل فتح الصندوق وإن كان صوت الإزميل والمطرقة قد أوضح أنه لم يتأخر . لم يسمعوا شيئًا لفترة ثم سمعوا صرخة مروعة بعد ربع ساعة ..

على الفور خرج جيرمين من الحجرة وجرى لمقدمة البيت كأن عدوًا مخيفًا يطارده ، والتعبير المذعور على وجهه يتحدى الوصف . قرب الباب توقف ثم هرع إلى القبو .

هنا تصاعدت رائحة بترول ورأى السايس السير (أرثر) يندفع خارجًا من البيت وهو يلمع بالبترول الذى غطاه من رأسه

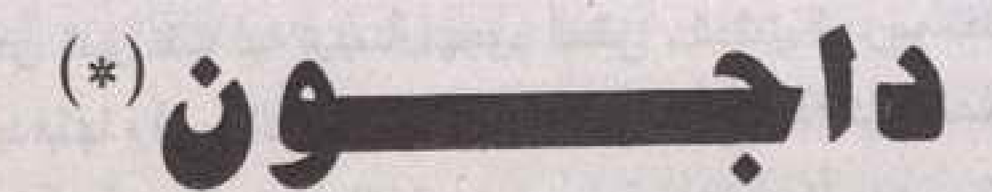
إلى قدميه ، وهو يجرى ليتوارى في الظلام المحيط بالبيت .
عرف الجميع أنها النهاية .

ظهر وهج بين الأشجار وتعالت النار إلى السماء . أما السبب الذى لم يقم أحد من أجله بجمع بقايا (أرثر جيرمين) المتفحمة ولم تدفن ، فيكمن فيما وجدوه بعد ذلك .. خاصة الشىء فى الصندوق .

إن المومياء المحنطة كانت شنيعة المنظر متحللة ، لكن من الواضح أنها قرد أبيض مجهول السلالة . كانت أقرب للبشر بشكل مروع . إن الوصف المفصل لن يسر أحدًا لكن هناك أشياء يجب أن تقال .. وهى تتفق مع الأساطير التى حكاها سير (ويد جيرمين) .

إن القلادة حول عنق المخلوق كانت تخص آل (جيرمين) ، والتشابه واضح بين ملامح المومياء وملامح (أرثر جيرمين) الحساس ، حفيد حفيد سير (ويد جيرمين) الذى تزوج زوجة مجهولة لم يرها أحد قط .. زوجة زعم أنها ابنة تاجر برتغالى .

قام أعضاء معهد الأجناس الملكى بحرق الشىء وألقوا بالقلادة فى بئر ، وبعضهم ينكر أن (أرثر جيرمين) كان له وجود على الإطلاق .



(*) جزء آخر من عالم لافكرافت الذى يتكرر من قصة لأخرى . عرفنا عقيدة (داجون) فى قصة (ظل فوق اينزمازث) وهنا نرى ذات العالم من وجهة نظر أخرى .

أكتب هذه الكلمات تحت ضغط عقلى واضح ، لأننى لن أكون بعد هذه الليلة . أنا مفلس وقد انتهى مخزونى من العقار الذى يجعل الحياة محتملة ، ولم أعد أطيق العذاب .. لذا سوف ألقى بنفسى من نافذة العلية هذه إلى الشارع الحقير من تحتى . لا تعتقد أننى منحل أو ضعيف بسبب خضوعى للمورفين ، فلو قرأت هذه الصفحات لأمكنك أن تخمن لماذا أريد النسيان أو الموت .

كان ذلك فى بقعة مهجورة من المحيط الهادى ، عندما سقط قارب الشحن الذى كنت فيه فريسة لهجوم ألمانى . كانت الحرب العظمى فى بدايتها وقوى الألمان لم تهو بعد إلى القاع ، لذا كانت سفينتنا جائزة قيمة ، بينما عوملنا نحن البحارة باحترام كأسرى . كانوا يعطوننا حريات واسعة حتى إننى بعد خمسة أيام من الأسر استطعت الفرار فى قارب صغير ومعى ماء ومؤن تكفينى لفترة طويلة .

عندما وجدت نفسى أخيرًا تحت رحمة الرياح لم أملك أية فكرة عن مكانى . لم أكن ملاحًا بارعًا قط وقدرت فقط أننى جنوب خط الاستواء . لم تكن هناك جزر ولا سواحل على مرمى البصر ، وقد مضيت تحت الشمس الحارقة عدة أيام منتظرًا قاربًا يمر أو أن يلقى بى على ساحل مسكون . لم يظهر القارب ولا الأرض وبدأت أشعر بالقنوط .

حدث التغير أثناء نومي ولا أذكر التفاصيل لأننى كنت نائمًا .. عندما صحوت وجدت أننى نصف مغمور فى مستنقع يمتد حولى وقد رسا فيه قاربى .

قد يتوقع المرء أن انطباعى الأول كان الدهشة من هذا المشهد ، لكننى كنت أكثر ذعرًا منى مندهشًا لأننى شعرت فى الهواء والماء شيئًا شريرًا يفوق الوصف ... ربما كان السبب رائحة الأسماك الميت النتنة أو أشياء أخرى تبرز من الوحل . لا أعرف كيف أعبر بكلمات ..

لا شىء على مدى السمع ولا شىء تراه .. فقط كان السكون مما ملأنى بخوف يثير الغثيان .

كانت الشمس تتوهج فى سماء شبه سوداء مما فيها من سحب ، كأنها تعكس المستنقع تحت قدمى . إذ زحفت أدركت أن نظرية واحدة يمكن أن تفسر وضعى .. ربما حدث تغير بركانى رفع جزءًا من قاع المحيط للسطح كاشفًا عن أراض ظل الماء يغمرها منذ ملايين السنين . هذه الأرض كانت تمتد بعيدًا ولم تكن هناك طيور بحرية تقتات على الأجساد الميتة .

لساعات جلست أفكر جوار القارب الذى كان على جانبه يعكس بعض الظل من الشمس . مع تقدم النهار فقدت الأرض بعض لزوجتها وبدا أنها تسمح بالمشى فوقها بعض الوقت . نمت

ليلتها قليلاً وفى الصباح حملت ما بقى معى من طعام وماء واستعددت للبحث عن عون .

كانت رائحة السمك تثير الجنون لكن كان لدى ما يشغلنى عن هذا ، وقد أمضيت اليوم كله أمشى غربًا مستهديًا بربوة أعلى مما حولها وفى الليل كنت أنام .

أمضيت أربعة ليال وصلت لقاعدة تلك الرابية التى اتضح أنها أعلى بكثير مما خيل لى من بعيد . كنت مرهقًا بحيث لم أستطع التسلق فنمت جوارها .

لا أعرف لماذا كانت أحلامى متوحشة فى تلك الليلة ، وصحوت مبللاً بعرق بارد وقد نويت ألا أنام أكثر . وفى ضوء القمر أدركت أنى كنت أحمق إذ فضلت المشى نهارًا .. لو مشيت ليلاً لاحتاجت رحلتى إلى طاقة أقل .. لقد صار بوسعى أن أتسلق الآن ..

يجب أن أعترف أننى عندما بلغت القمة ونظرت للوادى تحتى ، أصبت بالذعر .. مساحات لا نهاية لها من الظلام كأننى بلغت نهاية العالم فعلاً .. وتذكرت مقاطع من (الفردوس المفقود) .

فجأة رأيت على المنحدر المقابل شيئًا متسعًا يرتفع مائة ياردة أمامى . جسم يلتمع فى ضوء القمر .. كان قطعة صخر عملاقة لكنى قدرت أن شكلها ليس من عمل الطبيعة . بل هى تحمل لمسات كائنات تشعر وتفكر .

شعرت برعب لكن هذا لم يمنع شعورى بنوع من بهجة المكتشفين ، وتفحصت ما حولى . كان القمر قرب السمت يسطع فوق الدرجات المصنوعة فى الصدع ، وقد بدأ يكشف تلك الظلمات . كانت هناك مياه وكان هناك نصب حجرى عملاق يمكننى أن أرى بعض النقوش على سطحه .. نقوش هيروغليفية لا أعرف كنهها .. لكن فيها رموزًا بحرية كثيرة مثل الأسماك والضفادع .. هناك كائنات لم أرها من قبل لكنى ميزت شكلها وسط المستنقع .

كانت هناك رسوم تمثل رجالاً لكنهم أقرب للأسماك التى تسبح فى غار بحرى . لا أستطيع وصف الوجوه أن هذا يجعلنى أوشك على فقدان الوعى . هم أقرب للبشر فى شكلهم العام لكن أيديهم وأرجلهم ذوات أغشية ولهم عيون واسعة ..

قدرت أنها معبودات وثنية قديمة لقبيلة صيادين .. قبيلة اندثرت قبل أن يظهر إنسان نياندرثال أو بلتدون .. ووقفت شاعرًا بالرهبة أمام هذه النقوش التى تثير حيرة أى عالم أنثروبولوجى .

فجأة رأيته ..

بصوت خافت وهو يرتفع للسطح اندفع الشىء فوق المياه السوداء . كان ضخمًا كريهًا له مظهر السيكلوب واندفع كوحوش الكوابيس نحو النصب الحجرى وأحاطه بأذرعه العملاقة القشرية .. ثم خرج من رأسه صوت غريب ..

أعتقد أننى جننت وقتها ..

لا أذكر كيف تسلقت المنحدر ثانية ولا كيف جريت محمومًا نحو القارب .. أذكر أننى غنيت كثيرًا وضحكت عندما عجزت حنجرتى عن الغناء . أذكر عاصفة هائلة وصوت رعد وأصواتًا لا تبعثها الطبيعة إلا فى أسوأ مزاج لها .

أفقت من الظلال فى مستشفى فى سان فرانسسكو ، وعرفت أن قبطان السفينة الأمريكية الذى وجدنى وسط المحيط هو من جلبنى هنا . لقد تكلمت كثيرًا أثناء الهلوسة لكن أحدًا لم يبال بما قلت . لم يسمع منقذى عن أى انقلاب أرضى فى المحيط أثناء رحلتى . ولم أر نفعًا من قص قصة لن يصدقوها .

فى الليل عندما يشحب القمر ، أرى الشىء .. جربت المورفين لكنه لم يعطنى سوى راحة مؤقتة وجعلنى فى قبضته كعبد بلا خلاص . لهذا قررت أن أنهى كل شىء .. فقط كتبت تقريرًا كاملاً ليتسلى به الناس ..

أحيانًا أتساءل إن لم يكن هذا كله خيالاً ؟.. مجرد هلاوس نتيجة الظمأ والشمس وأنا فى القارب بعد فرارى من الألمان ؟.. لا أستطيع أن أفكر فى البحر إلا وتخيلت الأشياء المخيفة الكامنة فى الأعماق تزحف وسط الوحل ، تعبد أصنامها العتيقة وترسم أشباهها على النصب الحجرية .

أحلم بيوم ينهضون فيه من تحت الأمواج ليقضوا على جنس البشر الذى أهلكته الحروب . عندما تنكمش الأرض ويرتفع قاع المحيط ..

النهاية قريبة .. أسمع صخبًا على الباب .. كأن جسدًا زلقًا هناك ..

لن يجدنى ..

إلى النافذة !... إلى النافذة !!

سجين مع الفراعنة(*)

(*) كتبها خصيصًا تحية لصديقه المشعوذ (هوديني) أبرع المختصين في فنون الهرب من القيود عبر التاريخ .

- 1 -

الغموض يجذب الغموض .. منذ اشتهر اسمى كمؤد للحركات الخارقة ، قابلت قصصًا وأحداثًا غريبة اعتقد الناس أنها تتوافق مع اهتمامى . بعضها كان تافهًا وبعضها كان دراميًا شديد التأثير . بعضها أكسبنى خبرات غريبة ، وبعضها جعلنى أدخل فى بحث تاريخى مدقق . أحكى عن هذه القصص لكن هناك قصة أشعر نحوها بنفور عظيم ، لكنى أحكيها الآن تحت إغراء شديد من ناشر هذه المجلة الذى سمع كلامًا غامضًا عنها من أفراد أسرتى .

القصة تتعلق بزيارة غير مهنية قمت بها لمصر منذ 14 سنة . لست راغبًا فى نشر الحقائق التى يجهلها السياح الذين يزورون مصر وتخفيها الحكومة المصرية بعناية ، برغم أنها تعرفها بالطبع . أضف لهذا أننى غير راغب فى سرد قصة لعب فيها خيالى دورًا عظيمًا . ما رأيته أو حسبت أننى رأيته لم يحدث بالتأكيد . وربما هو نتيجة قراءاتى فى علم المصريات لو أضفنا لها إثارة حادث معين رهيب فى حد ذاته فلسوف نفهم تلك الليلة المفزعة التى مضى عليها وقت طويل .

فى يناير عام 1910 أنهيت ارتباطًا فى إنجلترا ووقعت عقدًا لجولة فى مسارح أستراليا . كان هناك وقت وافر أمامى لذا

قررت أن أنتفع به فى السفر ، وقد اصطحبت زوجتى إلى مارسيليا لنركب السفينة مالوا المتجهة إلى بورسعيد . وقررت أن أزور أهم آثار الصعيد قبل أن أتجه إلى أستراليا .

كنت مصممًا على أن أبقى شخصيتى سرًا ، لكننى تخليت عن هذا عندما قابلت زميلاً ساحرًا أصر على أن يبهر المسافرين بألعابه مما جعلنى لا أقاوم الرغبة فى تأدية حركاته بشكل أفضل . كان على أن أتوقع ما سيحدث نتيجة هذا التصرف . وقد حرمنى هذا وزوجتى متعة أن نمضى رحلة هادئة فى مصر . لقد صرت أنا نفسى أثرًا غريبًا يقف بينما يشاهده الناس !

جئنا لمصر لنرى الغموض والجمال ، عندما رست السفينة فى بورسعيد وركبنا قوارب صغيرة للشط ، لم نر سوى مدينة صغيرة شبه أوروبية لا غريب فيها سوى تمثال (دى لسيبس) ، لهذا قررنا السفر إلى القاهرة سريعًا لنرى الأهرام ومنها إلى الإسكندرية لنركب إلى أستراليا .

كانت رحلة القطار مريحة ، واستغرقت أربع ساعات بالضبط .. أخيرًا وصلنا إلى القاهرة . لكن خيبة الأمل لم تفارقنا لأن كل ما نراه كان أقرب إلى أوروبا ما عدا ثياب الناس .. هناك ميدان يعج بالسيارات والعربات . اتجهنا لفندق (شبيرد) عبر شوارع حسنة التصميم حيث بدت لنا أسرار الشرق وسحره أشياء بعيدة جدًا .

لكن اليوم التالى أخذنا إلى قلب ألف ليلة وليلة وبدا لنا كأن بغداد (هارون الرشيد) تحيا ثانية . اتجهنا شرقًا مارين بحدائق الأزبكية ثم الموسكى وسرعان ما صرنا فى يد دليل سياحى لم يمر بالتطور الحديث ، لذا كان سيدًا لحرفته .

لم أعرف إلا متأخرًا أنه كان علىٍ أن أطلب من الفندق دليلاً مرخصًا ، لكن هذا الدليل كان رجلاً حليق الوجه عميق الصوت يبدو كالفراعنة ويطلق على نفسه (الريس عبد الله الترجمان) وكان من الواضح أن له قوة ونفوذًا على رفاقه ، لكن الشرطة فيما بعد قالت إنها لا تعرفه ، وإن لفظة (الريس) تطلق على أى شخص ذى سلطة .

أرانا عبد الله غرائب كنا نقرأ عنها فقط فيما مضى ، وكانت القاهرة القديمة نفسها حلمًا وكتاب تاريخ .. أزقة من حوار ضيقة تفوح بعطر غامض بين الشرفات الأرابيسك التى توشك على أن تتلامس فوق الشوارع المرصوفة بالحجارة . مع (كاليدوسكوب) من الأثواب والأحجبة والعمائم والطرابيش ، مع صوت المؤذنين فوق المآذن على خلفية من سماء زرقاء لا تتغير .

لكننا أبقينا ذروة المتعة للمتحف المصرى حيث السحر المظلم لمصر الفرعونية . أخذنا عبد الله لشارع محمد على حيث مسجد السلطان حسن وحيث الدرجات التى تقود للقلعة التى بناها صلاح الدين نفسه بحجارة من الأهرام المنسية(*) .

(*) ليس هذا الوصف أدق وصف ممكن لمصر ، ولكنه الخلط المعتاد فى ذهن الغربيين ..

عند الغروب صعدنا إلى مسجد محمد على وألقينا من فوق المتاريس نظرة على القاهرة التى بدت قبابها بلون الذهب . الشمس تغرب الآن جالبة الغسق المصرى المثير للقشعريرة ، وأمامها رأينا سلويت أهرام الجيزة ، عندها عرفنا أننا انتهينا من القاهرة الإسلامية وعلينا أن نتذوق أسرار مصر الأقدم . عالم رع وآمون وايزيس وأوزيريس .

فى اليوم التالى ذهبنا إلى الجيزة فعبرنا شارع الهرم ، ومررنا بقرى فقيرة . أربعة قرون كما قال بونابرت تنظر لنا من أعلى . فى النهاية وصلنا ما بين محطة الترولى وفندق مينا هاوس . ابتاع لنا عبد الله تذاكر زيارة الهرم وكان واضح الكفاءة ، فقد أبعد عنا البدو الذين كانوا يترصدون بنا وأحضر لنا جمالاً .. كانت المسافة التى سنقطعها قصيرة ، لكننا لم نندم على إضافة هذه الخبرة الصحراوية المروعة إلى تجاربنا .

إن الأهرام تقع على نجد صخرى عال . الهرم الأكبر يقع قرب الطريق الحديث وقد بناه الملك خوفو نحو 2800 قبل الميلاد ، ثم إلى الجنوب الغربى تجد الهرم الثانى الذى بناه خفرع ويبدو أعلى برغم أنه أصغر . ثم تجد الهرم الأصغر لمنقرع ..

سوف تجد أهرامًا أصغر وبقايا فى عدة مواضع .. سوف تجد المصاطب وتشبه مقبرة (بيرنيب) الموجودة فى المتحف المتروبوليتانى فى نيويورك . جوار كل مقبرة معبد جنائزى كان الكهنة والأقارب يقدمون فيه الطعام للروح الهائمة (كا) .

هنا كان تمثال خفرع بالحجم الطبيعى من الصخر البركانى والموجود الآن فى المتحف المصرى .. هو تمثال وقفت أمامه خاشعًا عندما رأيته .. عرفت أن الألمان هم من وجدوه وتمنيت أن أعرف المزيد عن تلك البئر التى قيل إن التمثال وجد فيها مع تماثيل أخرى لقردة بابون .

راح الطريق ينحنى ونحن فوق الجمال ، حتى وجدنا أنفسنا أمام الصحراء . واد من الأهرام الصغيرة خلفها يلتمع النيل شرقًا والصحراء الخالدة غربًا ..

هبطنا نحو أبى الهول وجلسنا صامتين تحت هاتين العينين الرهيبتين اللتين لا تريان .

هنا تعالت صرخات البدو يطالبون السياح بالإسراع فى إنهاء رحلة صعود وهبوط الهرم الأكبر ، وكانوا يعتبرون الوقت الأمثل لهذه الرحلة سبع دقائق .. لكن بعض المشايخ قالوا إنهم قادرون على إنهاء التسلق والنزول فى خمس دقائق لو منحناهم

البقشيش . ومن أبى رواش إلى دهشور جنوبًا رأينا هرم سقارة الذى يمثل التحول من المطبة إلى الهرم الحقيقى . لم نستطع دخول الهرم الأكبر لأن البدو ضايقونا بإلحاحهم دعك من أننا صرنا مرهقين عاجزين عن هذه الرحلة المنهكة .

فى المساء كان أفراد مجموعتنا منهكين من برنامج اليوم ، لذا مضيت وحدى مع (عبد الله) فى جولة .. فقد أردت أن أرى الأزقة والبازارات فى ضوء الغسق الذى يكسبها سحرًا . مشينا إلى سوق النحاسين حيث قابلنا كبيرهم .. لم يحبنا كثيرًا ولم يبد سعيدًا بدليلى المخلص .. ربما لم يحب صوت (عبد الله) العميق ولربما لم يحب ابتسامة (أبو الهول) الجانبية على شفتى . على كل حال لم يطل الوقت قبل أن يمسك (على عزيز) كما سمعتهم ينادونه بتلابيب (عبد الله) . وسرعان ما تطور الأمر لشجار متبادل وفقد الرجلان غطائى رأسيهما المقدسين ، وكان الأمر ليتطور إلى أسوأ لولا أن تدخلت لأفصل بينهما .

لم يرحب الرجلان بتدخلى ، لكنهما تباعدا وراح كل منهما يستعيد كرامته ثم اتفقا على تسوية خلافهما باتفاق رهيب .. اتفاق عرفت أنه عادة عريقة فى مصر . سوف يسويان ما بينهما بقبضة اليد على قمة الهرم ، بمجرد أن يغيب آخر ضوء للقمر .

بدا لى الأمر مثيرًا .. الصراع فوق هذه القمة التى تطل على صحراء الجيزة فى ضوء القمر . وقد طلبت من عبد الله أن يصحبنى معه فوافق .. وهكذا صاحبته وهو يجول البلدة فى أحياء أكثرها شمال الأزبكية ، يجمع مجموعة من البلطجية الخطرين ليصاحبوه فى قتال الليلة .

بعد التاسعة ركبت مجموعتنا على حمير تحمل أسماء تعلموها من السياح مثل (مورجان) و(مارك توين) وعبرنا ذلك الجسر الذى يحرسه أسدان من البرونز . استغرقت الرحلة ساعتين ونحن وحدنا مع الظلام والماضى .

ظهرت الأهرام فى نهاية الطريق رهيبة تدعو للتوجس .. ألم يدفنوا هنا الملكة نيتوكريس حية إبان الأسرة السادسة ؟.. سمعت أن العرب يحكون أشياء عن هذه الملكة نيتوكريس ويتحاشون الهرم الثالث ليلاً .. إنها التى كتب عنها (توماس مور) واصفًا إياها بـ (سيدة الهرم) .

برغم أننا كنا مبكرين فقد وجدنا أن (على عزيز) وجماعته سبقونا .. كنا قد تجنبنا المرور قرب مينا هاوس حتى لا يستوقفنا رجال الشرطة . واتجهنا نحو الهرم الأكبر حيث كان البدو ينتظرون ..

دارت المعركة باللكمات وراقبتها . كانت سريعة جدًا وبرغم تحفظى على الطريقة فإننى شعرت بالفخر عندنا أعلنوا أن (عبد الله) هو الفائز .

كان الصلح سريعًا بشكل ملفت حتى إننى صرت بصعوبة قادرًا على تذكر أن مشاجرة قد وقعت . ومن الغريب أن الاهتمام تحول نحوى أنا .. على قدر فهمى للعربية أدركت إنهم يتكلمون عنى وعن قدراتى الغريبة فى الفرار من أى سجن ، وقد أثار دهشتى أنهم يعرفوننى ، كما شممت رائحة عدوانية ما . وبدأت أفهم أن سحر مصر القديمة لم يبرح البلاد ، وأن ممارسات سحرية عدة ما زالت موجودة ، إنهم يشكون فى ألعاب الحواة .. وخطر لى أن دليلى عميق الصوت (عبد الله) يبدو ككاهن مصرى قديم .

فجأة أدركت أن أفكارى لم تكن غير ذات أساس ، لأنه من دون إنذار واستجابة لإشارة خفية من (عبد الله) هجم على أولئك البدو وقاموا بتقييدى بحبال غلاظ .

قاومت طويلاً لكنى أدركت أن رجلاً وحيدًا لا يقدر على الانتصار على عشرين بدويًا قويًا . ربطت يداى خلف ظهرى وثنيت ركبتاى وربطوا يدى لكاحلى .. ثم وضعوا كمامة خانقة على فمى عصبوا عينى وحملونى على الأكتاف ونزلوا بى من فوق الهرم .

وسمعت (عبد الله) يقول إنهم سيضعون قواى السحرية تحت الاختبار حالاً .. ولسوف أفقد أى غرور اكتسبته من تجاربى فى أوروبا وأمريكا .

إلى أية مسافة حملونى ؟.. وفى أى اتجاه ؟.. لا أعرف .. كل الظروف منعتنى من تكوين رأى صائب ، لكن بالتأكيد لم تكن مسافة بعيدة ..

وضعونى على أرض ميزت أنها رمال وليست صخرًا .. ربطوا حبلاً حول صدرى وجرونى إلى فتحة فى الأرض ، وقاموا بإنزالى هناك . رحت أتخبط لوقت طويل فى الجدران لبئر ضيقة أعتقد أنها مدفن قديم ..

كان رعب التجربة يتزايد مع كل ثانية ، وبدا لى أننى أقترب من مركز الأرض ذاته وأنه من الغريب أن يقدر حبل صنعه بشر على أن يتدلى لهذه الأعماق التى لا نهاية لها . إن حاسة الزمن تخدع المرء كثيرًا ، لكنى كنت واعيًا تمامًا حتى تلك اللحظة ولم يضف خيالى شيئًا لصورة مريعة فى حد ذاتها .

لم يكن هذا سبب إغمائى لأول مرة .. لقد بدا أن معاناتى تتزايد بسرعة ، وظهر هذا واضحًا مع ازدياد سرعة الهبوط .

كانوا يدلون الحبل بسرعة وقد رحت أرتطم بلا رحمة بجوانب البئر وأنا أهبط بجنون . تمزقت ثيابى وشعرت بالدم ينزف .. وشممت رائحة رطبة عطنة تختلف عن أية رائحة شممتها فى حياتى ، فيها أثر خافت لعطور وتوابل قديمة .

ثم جاءت الجائحة العقلية .. كانت مريعة تفوق أى وصف مرتب . كانت هذه ذروة الكوابيس .. فى لحظة كنت أتعذب بناب ألف وحش فى تلك البئر ، وفى اللحظة التالية كنت أحلق فوق أجنحة الوطاويط فى الجحيم . أحلق فوق أميال من الفضاء بلا حدود ، ثم أهبط لفراغ ضار يبعث الغثيان . حمدًا لله لأن النسيان محا هذا الجنون الذى مزق روحى .

لكنى استجمعت قواى وعقلى لأتحمل هذا الرعب الكونى الذى ينتظرنى .

- 2 -

تدريجيًا عدت لحواسى بعد هذا الصراع العجيب فى فضاء جحيمى . كانت التجربة أليمة بحق وبلا نهاية ، ولم تكن طبيعة أحلامى واضحة لكنها اضطربت فى خيالى فلم يبق منها سوى الهيكل العام .

حلمت أننى فى قبضة قدم عملاقة .. قدم صفراء مشعرة ذات خمسة مخالب تمتد لتهشمنى .. ورأيت نفسى فريسة روح غولية من سحر النيل القديم .. أرواح وجدت حول النيل قبل أن يوجد بشر وستبقى بعد رحيلهم .

رأيت مقابر الموتى ومواكب الكهنة عبر ممرات ومتاهات يصير المرء وسطها ذبابة . ورأيت الشر الخام أسود عديم الشكل يتبعنى فى الظلمات ليخنق تلك الروح التى تجاسرت أن تحاكى هذا السحر .

فى عقلى النائم كانت ميلودراما من الشر والمقت .. وسمعت روح الشر تناديني وتهمس بصوت غير مسموع . تهبط بى إلى قلبها الفرعونى المظلم الرهيب ..

ثم بـدأت الرؤى تأخذ شـكل وجـوه بشرية .. رأيت دليلى (عبد الله) فى ثياب ملك وعلى ملامحه ذات تعبير (أبو الهـول) الساخر . وأنا أعرف أن هذه ملامح (خفرع) الذى شيد الهرم الثانى .. ونظرت ليده الطويلـة النحيلـة التى رأيتها فى تمثـال الحجر البركانى فى متحف القاهرة . هذه اليد !.. أراها الآن على (عبد الله) نفسه .. باردة تعتصرنى ..

هنا بدأت أصحو .. أو أبتعد نوعًا عن حالـة النوم التى كنت فيها .. تذكرت الشجار وقمة الهرم واعتداء البدو .. عرفت الآن أننى راقد على أرض صخرية ندية وقيودى محكمة بشدة . كـان البرد شديدًا وقد شعرت بتيار هواء بارد يمر بى ..

كانت الجروح والسحجات التى أصابتنى أثنـاء النزول تؤلمنى بحق ، وكانت أية حركة كفيلة بأن تفعمنى ألمًا .

نظرت لأعلى فوجدت أن الحبل الذى نزلت به كان ما زال يتسلق لأعلى ، فلم أدر إن كان البدو ما زالوا ممسكين بـه أم لا .. وقدرت أنى فى معبد (خفرع) أو كهف لم أره أثناء جولة الصبـاح ، وهذا يعنى أن بوسـعى الفـرار . علىّ أولاً التحرر من قيودى .. لـن يكون هذا عسيرًا أن خبراء كثيرين جربوا كل حيلة لديهم لكنهم لم ينجحوا فى منعى من الهرب .

كـان تفكيرى الرئيس هو هزيمـة هؤلاء لـذا صممت على أن أتحرر بأسرع ما يمكن .. مع تحاشى أى جذب للحبـل قد يفضـح محاولتى للتحرر .

لكن تنفيذ هذا كان أصـعب مـن التفكير فيه ، لأن الحبل هـوى ليتدلى جوارى ، وفهمت أن البدو قد شعروا بمحـاولتى فتركوه يسقط فى البئر ، وهرعوا ينتظروننـى عند مدخل المعبد . كـان الموقف غير سار لكننى واجهت ما هو أسوأ فى حياتى ولم أهتز .. ولـن أهتـز الآن .. علىّ أن أتحرر من قيودى ، ثم أفكر فـى الهرب من هنا سليمًا . لكن الحبل الـذى سقط فوقى كـان يتكوم أكثر فـأكثر بمـا يفوق الحبل العادى ... كـان ثقيلاً جـدًا يشـى بالمسافة الهائلة التى نزلتها .. وبدأت أشعر بـأننى أختنـق .. ثم الشعور بأننى هبطت كثيرًا جدًا فلابد أننى فى موضـع قرب قلب الكوكب ..

عندما فقدت الوعى ثانية طـاردتنى كوابيس مصر وأسـرارها المنسية .. الموتى وتلك المقابر التى كانت بيوتًا أكثر منهـا مقابر . تذكرت أضرحة مصر القديمة والعقيدة التى كانت وراء بنائها .

لم يكن قدماء المصريين يفكرون إلا فى الموت .. آمنوا ببعـث الجسد كما هو وآمنوا بروح تبقى فىَ النعيم مع أوزيريس ، ثم (الكـا)

جوهر الحياة الغامضة التى تتحرك بين العالمين السفلى والعلوى بشكل مفزع . وتحاول الوصول إلى الجسد المحنط وأحياناً تستولى عليه أو على التمثال الخشبى الذى يشبهه ..

منذ آلاف السنين وتلك الأجساد ترقد ناظرة لأعلى بعيون زجاجية بانتظار البعث ، وبانتظار أن تجتمع فيها الكا والروح ليخرج الموتى من دار النوم . ربما يتحدث الناس عن اجتماعات غير مقدسة فى هذه الكهوف والأقبية لا يحضرها سوى كا وهذه المومياوات .

من أفظع المومياوات تلك التى تجمع بين جذوع بشرية وأطراف حيوانية ، والتى زعم الكهنة أنها ناجمة عن اتحاد بين البشر والحيوانات للوصول إلى أشباه آلهة . أما ما حدث لهذه المومياوات فلا نعرف .. لم يجد أى عالم مصريات واحدة منها . يقولون إن خفرع ما زال حياً تحت الأرض وقد تزوج نيتوكريس وهو يحكم المومياوات التى لا هى بشر ولا وحوش .

حلمت بخفرع ومملكته من الموتى .. لهذا أنا مسرور لأننى نسيت أكثر هذه الكوابيس .

عندما أفقت من غيبوبتى لاحظت أن ذلك الحبل الثقيل الذى كان يجثم فوقى ويخنقنى غير موجود .. هناك من رفعه عنى !

أنا وحدى ... لكن مع أى شىء ؟

قبل أن أعذب نفسى بمزيد من الأسئلة ، وقبل أن أفكر فى التحرر من قيودى ، كانت آلام جديدة تمزق ذراعى ورجلى . وأدركت أننى مغطى بالدم بشكل لا يمكن تفسيره بالجروح التى أصابتنى أثناء الهبوط .. الشىء الذى نزع عنى الحبل قد جرحنى وأدمانى بلا رحمة ، ثم توقف بلا تفسير .

رحت أفك قيودى مستعملاً الفن الذى مارسته مرارًا أمام الأضواء والتصفيق . علىّ أن أقف غير مقيد غير مضمد العينين وغير مكتوم الفم فلربما أرى ضوءًا أعرف به أين أنا .

فى النهاية وبعد وقت طويل تحررت ، فوقفت أستنشق الهواء غريب الرائحة . وأدركت أن عضلاتى متصلبة لا تسمح لى بالحركة فورًا .. لذا جلست وفردت جسدى لفترة طويلة ورحت أفتش عن مصدر ضوء يلمح لى بمكانى .

استعدت قواى لكن عينى لم تريا شيئًا .. لا شىء سوى ظلمة أبنوسية كالتى كنت أراها والعصابة على عينى . نهضت وأدركت أننى قادر على المشى .. كان هناك هواء بارد كريه الرائحة لذا قررت أن هذه أقرب نقطة للمدخل ولسوف أتخذها مرجعًا لجولتى .

كان معى ثقاب وكشاف صغير ، لكن جيوب ثيابى تم إفراغها من أى شىء ثقيل . مصر !.. الشرق !.. هذا الموضع من العالم يحوى الكثير من الرعب والكثير من السحر ..

قررت أن أتبع تيار الهواء الغريب ، فهو سوف يقودنى إلـى فتحة من أى نوع . ربما أفشل .. هذا أعرفه .. فمن الواضح أن هذا ليس جزءًا من معبد خفرع الـذى يعرفـه السياح . ربما هو موضع لم يسمع عنه أى عالم أثرى من قبل ، فلا يعرفـه سوى الأعراب الذين سجنونى .

هل هى نهايتى ؟.. ربما كان من الرحمـة أن تكون هذه هى لحظاتى الأخيرة ..

فقدت وعيى من جديد ... كلما تذكرت تلك الليلة شعرت بنوع من الدعابة فى الأمر لأننى تذكرت الأفلام الميلودرامية التى كانت موضة العصر حيث كانت الإغماءات تتتابع .

ربما كانت تلك هلوسة طويلة بدأت بهبوطى فى البئر وانتهت بى فى صحراء الجيزة على الرمال تحت الشمس الحارقة . فيما بعد قال لى رجال الشرطة إن مدخل معبد خفرع كان مفتوحًا وإن هناك صدعًا إلى السطح ما زال موجودًا . من الغريب أن وصفـى للدليـل لم يسـاعد أى واحـد فى أن يعـرف من هو .. الريس عبد الله الترجمان الذى يبدو ويبتسم مثل الملك خفرع .

لقد ابتعدت عن قصتى الأصلية ربما لأتجنب هـذه النقطـة التـى أعتبرها هلوسة . عندما أفقت أو خيل لى إننـى أفقت ، عرفت أننـى

تعثرت فوق درجات حجرية . وكانت الريح الكريهة قوية الآن بشكل شيطانى .. لكننى كنت قد ألفتها . بدأت أزحف وأنا أتحسس الأرض بيدين داميتين . اصطدم رأسى بعمود .. عمود عملاق لدرجة لا توصف مغطى بنقوش هيروغليفية استطاعت يدى أن تميزها .

قابلت عدة أعمدة عملاقة على مسافات متساوية كبيرة وهنا فطنت إلى أننى أسمع صوتًا .. صوتًا ظل يتردد فى لا وعيى فترة طويلة قبل أن تعيه حواسى . ثم فطنت أنها أصوات عديدة .. أصوات تؤدى طقوسًا ما لا شك فيها .. دق دف ... ضربات على الهارب ..

شعرت بذعر يفوق أى ذعر عرفته .. ذعر تجاوز ما هو شخصى ليصير نوعًا من الشفقة على كوكب الأرض الذى يحتضن هذه الأسرار المروعة . الصوت يتعالى كأنهم يقتربون .. ثم بدأت أسمع خطوات هذه الأشياء التى تمشى ..

فليرحمنى الله !.. إن هذه الأشياء تقترب وصوت خطواتها وزحفها منتظم شحذته آلاف الأعوام من التدريب .. هنا مكان اجتماع المومياوات التى لا روح لها .. ملتقى الحائرين ..

اقتربت الخطوات .. وتواريت خلف عمود حجرى محاولاً إبعاد الرعب عنى . الرعب الذى يزحف بمليون قدم نحوى ، ورأيت ضوءًا خافتًا ..

لم أحاول النظر لتلك الأشياء الماشية .. فقط سمعت مفـاصلهم التى تحدث صريرًا وأنفاسهم التى تعبق بالنترات .. من الرحمـةَ أنهم لـم يتكلمـوا .. لكن رباه !.. مشـاعلهم كـانت تلقـى ظـلالاً مجنونةً على الأعمـدة .. أفراس النهر لا يجب أن تكون لها أذرع بشر أو تحمل مصابيح .. البشـر لا يمكن أن تكون لهم رءوس تماسيح !

حاولت أن أبتعد لكن الظلال والأصوات والرائحة الكريهة كانت فى كل مكان .. هكذا تذكرت الحيلة التى كنت أرددها لنفسى وأنـا طفل : « هذا حلم !.. هذا حلم !.. » .. لكنها لم تجد كثيرًا ..

كان علىّ أن أفتح عينـى عسـاى أتبين فـى هذا الضوء شيئًا يدلنى على مكانى ، لكننى كنت مضطرًا لغلق عينـى عندمـا رأيت شيئًا يتحرك بلا جذع فوق خصره ..

كانت غرغرة الموتى تملأ المكان والهواء صار خانقًا من لهب المشاعل . وفتحت عينى مرغمًا لأرى مشهدًا لا يمكن أن تتحمله عين بشرية .. لقد وقفت الأشياء فى اتجاه واحد بينما مشـاعلهم تعكس رءوسهم المحنية أو رءوس من كانت لهم رءوس . كانت تتعبد أمام فتحـة تتصاعد منهـا أبخرة كريهـة وأدركت أن علـى جانبيها درجات سلم عملاقة ..

كان حجم الفتحة يتناسب مع حجم الأعمدة العملاق .. يمكن لبيت عادى أن يغيب فيها تمامًا ..

أمام هذه الفتحة كانت تلك المسوخ تلقى بأشياء .. ربما قرابين كما فهمت من حركاتها ..

القائد كان خفرع .. بعبارة أخرى كان مرشدنا (الريس عبد الله) وجواره الملكة الحسناء (نيتوكريس) التى أدركت فى لمحة أن نصف وجهها التهمته الفئران .. ثم رأيت ما كانوا يقذفونه فى الفتحة فأغمضت عينى ..

لمن يتعبدون ؟.. أوزيريس أو إيزيس ؟ حورس أم أنوبيس ؟..

خطر ببالى الفرار .. القاعة مظلمة والأعمدة عملاقة والكل مستغرق فى الطقوس .. ربما أصل إلى تلك الدرجات وأصعد دون أن يرانى أحد . بدا لى من المسلى أن أحاول الفرار من هذا المكان الذى هو حلم ..

بدأت الزحف على بطنى متجهًا نحو أسفل الدرج الأيسر . كان هو الأقرب . من الصعب أن أصف مشاعرى أثناء هذا الزحف لكن بوسع المرء أن يتخيل .. كان أسفل الدرج فى الظلال البعيدة يرتفع إلى ما فوق تلك الفتحة . هكذا صرت على مسافة معقولة من الحشد وإن أفزعنى منظره برغم أننى صرت بعيدًا .

نجحت فى بلوغ الدرجات ورحت أتسلق ملتصقًا بالحائط ..

كانت الدرجات منحدرة وضخمة كأنها مخصصة لقدمى عملاق وبدا لى الصعود بلا نهاية . خوف أن يرونـى وألم جراحى المتجدد جعل هذا التسلق ذكرى أليمة . وكنـت قد صممت على إلا ألقى نظـرة تحتى حتى لا أرى هذا الجمع المخيف الجيفى الذى يقوم بطقوس مروعة على بعد سبعين قدمًا من تحتـى . فجأة تردد صوت هذه الغرغرة . وتصلبت للحظة ثم أدركت أنـه نوع من التراتيل وليس بسبب اكتشافى ..

كـانت المسوخ تحيى شيئًا تحرك فـى الفجوة كـى يظفر بمـا قدموه له . كان شيئًا رخوًا أصفر مشعرًا ذا حركـة عصبيـة . لم يكن له عنـق لكن لـه خمسـة رءوس تبرز فـى صـف من جذع أسطوانى ..

من هذه الرءوس برزت ممسات صلبة غريبـة تمسك بالطعام الذى أدخلوه فى الفجوة . أحيانًا كان الشىء يعود للفتحة وكـانت حركاته غريبة ، عصية على التفسير لدرجة أننى تصلبت مذهولاً متمنيًا أن يبرز أكثر .

هنا خرج .. نعم خرج ...

إذ رأيته هرعت أتسلق الدرجات ورحت أتسلق عبر مسطحات وسلالم لم يرها بشرى من قبل ولا تخضع لمنطق . لابد أن هذا كان حلمًا ..

لابد أنه كان حلمًا وإلا ما وجدنى الفجر أتنفس فوق رمال الجيزة أمام وجه أبى الهول الباسم الساخر .

أبو الهول العظيم !.. السؤال الذى سألته لنفسى .. ما الشىء العملاق المخيف الذى نحتوا هذا التمثال ليمثله ؟

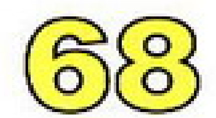
ملعون هى تلك الرؤيا التى جعلتنى أرى الرعب الأعظم ... ليكن حلمًا أو لا .. الكائن المروع الذى يقبع فى هوة سحيقة ، يلتهم ما تقدمه له مسوخ بلا روح ما كان يجب أن توجد . المسخ ذو الرءوس الخمسة .. المسخ ذو الرءوس الخمسة العملاق ..

لكنى عشت .. وأؤمن أن ما رأيته كان مجرد حلم .

هـ . ب . لافكرافت

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية





نداء كُتُولُو

(العزيف) و(نيكرونوميكون) و(كتولو) و(آرخام) و(إينزماوث) .. مفردات عالم لافكرافت كاتب الرعب الأمريكى الأشهر، التى يستعملها فى كل قصصه تقريبًا ..

عشاق أدب الرجل يعرفون معنى هذه الكلمات لدرجة أنهم يشعرون بتوتر غامض عند سماعها ، والبعض يشعر بأن لافكرافت هو نفسه شخصية مرهقة حساسة مريضة من شخصيات قصصه .

اليوم نلبى نداء (كتولو) الرهيب النائم فى أعماق المحيط ونعرف أكثر ...

العدد القادم

لورد جيم

